المـغـتـربـــــة

مجموعة قصصية

غادة قدري

obeikan.com

المـغـتـربـة
المؤلف : غادة إبراهيم قدري
الطبعة الأولي ٢٠١٢

دار الحـلم للنشر والتوزيع
القاهرة ،٤ شارع الأشراف - تقسيم العسال - شارع مؤسسة الزكاة - المرج

موبايل :
01141824562
E-Mail:
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام :
د/اسلام فتحى

تصميم الغلاف :
أسامة علام

إخراج داخلي :
إبــداع للـدعـاية والإعـلان

رقم الايداع : ٢٠١٢/٢٠٩٤٧
الترقيم الدولي : ٩-١٤-٦٤١٢-٩٧٧-٩٧٨

obeikan.com

إهداء..

إلى أمي ..حبي الأوحـد

obeikan.com

عند الميدان..!

obeikan.com

وسط ميدان التحرير كان لقائها الأول به.. شاهدهما يهمان بالتحرش بالفتاتين فكان أسرع منهما وهرول يحميهما ويخرجهما من بين الرجال والشبان الكثيرين المتزاحمين واللذين ليس بمعظمهم ثوار .. حوطهما بكلتا ذراعيه.. وأخذ يبعد الناس وكأنهما شخصيتين مهمتين.. في البداية استغربته نهاد و فاتن .. و ضحكتا كثيراً

هل يصلح هذا الشاب للحب أم للحرب فقط ؟

ما كان يميزه دائماً التفافه في علم مصر.. في كل المرات التي شاهدته فيها كان يلف أكتافه بالعلم ..

أعجبها صدقه في حب الوطن دون غيره..

فكانت كل اللقاءات بينهما تتم في صحن ميدان التحرير...

***

التقت نهاد بفاتن في المقهى المفضل ..لم يكن بأناقة مقهى (كارلوس) الذي اعتادت فاتن اللجوء إليه في الإسكندرية على الشاطئ في لوران مع حبيبها في الماضي ..

ولم يكن بحلة ذلك المطعم الياباني (كوي) الذي طالما عشقت طعامه وسخرت منه أمها.

لقد تغير مزاج فاتن من ارتياد المقاهي الفاخرة إلى التسكع على مقاعد المقاهي الشعبية لتشم عبير الثورة وعرق الثوار الذين ارتادوها لتستمع منهم إلى سيرة الشهداء..

إنه مقهى في قلب المدينة يسمونه (التكعيبة)في شارع شامبليون بوسط المدينة مغطى بالأشجار العتيقة يفتقد للأناقة حتى أن رواده من طبقة المثقفين المتسمين بالغرابة في ملابسهم وطقوسهم وهواياتهم ..يشبهون الهيبز يلفون سجائرهم المحشوة بالتوباكو يدوياً..

تعرفت فاتن على المقهى لتلتقي بنوع خاص من المثقفين المهمومين بقضايا الوطن..ولكنهم كانوا ذوي اتجاهات ليبرالية وعلمانية غالبا ويسارية وشيوعية في بعض الأحيان.. ظنت أن مصر ستصبح نسخة من باريس مثلا لو أن كل

ثوارها من تلك الفئة.

الشيوعيون ذوي شعر أشعث وملابس رثة حقيرة، وكوفية فلسطينية كرمز للرفض والإنتفاضة ضد القمع؛ يضعون عوينات ريبان مقلدة ذات إطار أسود سميك !!

يختلفون قطعا عن ثوار الشارع والمساجد والكنيسة والناس العادية في البيوت ...

ولأنها قضت فيه أوقاتا طويلة ... فقد أوشكت على الإيمان بأن هؤلاء لا غيرهم فقط هم المصريون... بضعة شبان يدخنون المعسل القص والسلوم ويتحدثون في السياسة ويتناقشون حول كتاب (كونديرا) أو خريف البطريرك (لماركيز) معظمهم فنانين ونحاتين ورسامين وصبية يدندنون بالجيتار أغنيات «بوب مارلي» ومثلهم الأعلى المناضل (تشي جيفارا) ... يرددون مصطلحات عن التقدمية اليسارية والنظام الإشتراكي والعلمانية، في الدستور التركي والليبرالية التي لا ترفض الإسلاميين امتثالا للديمقراطية وسعة الصدر ...

***

كان الحوار مع نهاد يدور حول «أحمد المصري» ذلك الثائر الذي التقته الفتاتان في ميدان التحرير ..

فاتن: أنا قررت يا نهاد أنظم مع أحمد مستشفى ميداني لإسعاف المصابين في الثورة.

نهاد: بس انتي إيه علاقتك بالتمريض والطب أصلا ؟

فاتن: هاتدرب تحت إيد دكتور.. المستشفى اللي عاملينها دي فيها دكاترة كتير وانا هتعلم شوية إسعافات أولية وأساعد الدكاترة ماهو لازم نعمل أي حاجة نسعف بيها الناس دي ..إحنا مش هنعمل مستشفى خمس نجوم ..دي مجرد إسعافات أولية للجرحى والمصابين لحين نقلهم للمستشفيات وبكرة هنبدأ.

نهاد: طيب إيه المطلوب مني .

فاتن: أنتي يانهاد دكتورة تحاليل وأكيد تقدري تساعدينا إحنا عايزينك وعايزيين كمان نجمع بطاطين للناس المعتصمة في الميدان .

و استطردت سائلة... هتساعدينا ولا إيه النظام ؟؟

نهاد: بس يا فاتن أنا مليش في الثورة والإعتصام وماما لو عرفت هترجعني كفر الشيخ وتقعدني في البيت...طيب بصي أنا ممكن أجيب صحابي بدالي إيه رأيك ؟؟

فاتن: كل اللي تقدري تعمليه وشايفة إنه هيفيد أعمليه .. الموقف صعب يانهاد ومش مستحمل تأجيل .. إحنا خلاص تقريبا رتبنا كل حاجة.

نهاد: أستني لما أكلم ولاء وأشوف ممكن تساعدنا إزاي .. بصي أنا كمان بعرف واحد رسام ممكن يجي معانا ..

فاتن: بسرعة كلميهم حالاً مفيش وقت الشباب بتموت ،على فكرة فيه فنانين كتير مشاهير وشخصيات عامة أقنعتهم يشتركوا معانا مش بس طلبة ودكاترة يا نهاد بصي محدش بيفكر في الموت في الظروف دي خليكي أدها.. إعملي أي حاجة لبلدك أرجوكي إحنا مش رايحين نحرق ونولع في البلد إحنا رايحين نداوي ونسعف المصابين ونقنعهم بضبط النفس ويانلحقهم يا منلحقهمش .

***

اجتمعت فاتن و أحمد مع بعض الفنانين في خيمة كانوا قد نصبوها في شارع محمد محمود لإسعاف المصابين وكانت نهاد قد جاءت بصديقاتها من الجامعة وانضمت للفريق .. هناك تم تدريبهم على بعض الإسعافات الأولية البسيطة وتجهيز المستحضرات ومساعدة الأطباء ، كانت فاتن مهتمة جدا لدرجة أنها جاءت وهي تعرف كل شيئ من خلال الإطلاع على الصفحات المتخصصة علي الإنترنت والسهر مع جارتها الصيدلانية التي لقنتها بعض الإجراءات الطبية والإسعافات اللازمة وكيفية التعامل مع الجروح والكسور.

بدأت الإشتباكات والتراشق وأصوات لأشياء تتفجر ودوي طلقات .. لم تكن فاتن مقتنعة بما يحدث لاسيّما أن ما يجري ليس له ما يبرره على الأقل من وجهة نظر فاتن .. الشبان يتهمون المجلس العسكري بالتخاذل .. وبعض الصبية والمتظاهرين يشنون هجوما حاداً على ضباط الشرطة والعسكر في آن واحد ويضرمون النيران في كل مكان، فنصح أحمد فاتن ونهاد بالبقاء في الخيمة وعدم

obeikan.com

التحرك منها إلا في حالات استقبال المصابين فقط .
تحت وابل من الرصاص والنيران ورائحة الغازات المسيلة للدموع قبعت فاتن محتضنة نهاد التي كانت ترتعش خوفاً وبدأت تتوافد عليهم أجساد المصابين واحدا بعد الآخر.. ما بين حالات إغماء واختناق, وإصابات بالرصاص المطاطى ،كان على الجميع التحلي بالثبات والسرعة من أجل نجدة المصابين.
كانت الظروف قاسية عيون أبكتها الأهوال .. وعيون أبكتها الغازات المسيلة للدموع.
كان أحدهم يحمل زجاجات من الخل ويبلل المناديل ويوزعها على المعتصمين والثوار.. نادته فاتن فأخذت منه مناديل مبللة بالخل وأعطت منها لنهاد، حتى يضعونها على أنفيهما ليخفف من آثار الغازات المسيلة للدموع.
كانت المناظر القادمة للمستشفى الميداني بشعة منظر الدم وصراخ الجرحى .. كلهم شباب في مقتبل العمر..
فمنهم من فقد إحدى عينيه..حتى أنه تعذر عليه البكاء .. لقد حُرِم حتى من ذرف الدموع ..
و مع ذلك ظلت المسيرات تتوافد والهتافات المختلفة تعلوا لتشعر وأنت بينهم بأن الأرض تهتز من أسفل قدميك ثم تنخفض الهتافات مع ابتعاد كل مسيرة فتأتي غيرها... كل جماعة تهتف بما يعارض الآخر..وهناك من جاء يردد مطالب مؤيدة ومعارضة في نفس الوقت..ربما حضروا من أجل التعبير عن ثورتهم بجهل غير مدركين فداحة ما يفعلون..
أخبرت نهاد أحمد بأن الشاش قد أوشك على النفاذ والمطهرات قد انتهت وبعض الأدوية المسكنة والسرنجات بحاجة إلى المزيد .. لكن فاتن قالت لأحمد لا داعي للخروج فالوضع غير مطمئن بالمرة ولازال معنا ما يكفي فلنحاول أن نكتفي بما لدينا الآن وننتظر بعد أن تهدأ المعارك إلا أن أحمد أصر على تعويض الناقص فاعتذر من الجميع وخرج ليشتري بعض الإمدادات الطبية الناقصة.
تأخر أحمد المصري عن الرجوع .. بينما غرق الشارع في الظلام الحالك وتم غمره بالمياه لمنع المتظاهرين من الوصول إلى وزارة الداخلية كنوع من الضغط عليهم مما جعل الليل شبيها بالكابوس فاستفز الثائرين أكثر ليبدأوا بإلقاء

قنابل الملوتوف على الشرطة بشكل مكثف ..

***

لحظات و تعالت الهتفات وكأن مسيرة قادمة تخترق حلكة الظلام الذي خيم على أرض المعركة .. الأصوات لازالت بعيدة والهتافات المليونية مختلطة ما بين كلمات وصرخات مقهورة «يسقط ...يسقط... حكم العسكر ....» بدأت الناس تتجمهر وتتجمع من جديد و الضجيج يتزايد و همهمات وصرخات وهتافات وأصوات وكلمات وآهات وفجأة بدأت الناس تهلل ..أنباء عن سقوط شهيد ..شهيد جديد ..الجميع يتجه صوب التجمهر لمشاهدة الشهيد المضرج في دماءه وآخرون متبرعون لنقله وحمله إلى المستشفى للتأكد من وفاته ..لازال دمه ساخنا وآثار الحياة لم تذهب كلها بعد.. آثار أنفاس أخيرة..وابتسامة وجلة ربما لن تكتمل .. حمله الصبية والشباب يرددون هتافات .. ونهاد و فاتن من خلف الخيمة ينتظرن قدومه للتأكد من وفاته لعله لازال حياً .. لعلها إغماءة أثر جروح طفيفة ...

لست قادرة على مشاهدة الشهيد يانهاد .. هكذا قالت فاتن

وافقتها نهاد .. الجموع تلتف حوله لن نتمكن من مشاهدته ..وربما لن نتمكن وسط كل هذا التجمهر من اللحاق به إن كان لازال بالإمكان إحيائه، حتى أن المداد الطبي نفذ بالكامل ولازال أحمد غائباً ...

أمسكت فاتن بهاتفها المحمول تطلب أحمد ولكنها فوجئت ببطارية الهاتف وقد نفذت هي الأخرى.. بدأ القلق يرتسم على ملامحها خوفا من تزايد الجرحى والشهداء دون وجود أدوية ومواد إسعاف طبية.

جلست فاتن تنظر إلى ساعتها وبجانبها نهاد يتبادلن النظرات في قلق .. والأصوات تتعالى في الخارج ولحظات حتى بدأت بعض الفتيات المعتصمات والثائرات في الصراخ وبعضهن قد أطلقت الزغاريد، والهتافات لعريس السماء الشهيد.

لحظات ويدخل الشباب الخيمة حاملين جثمان الشهيد؛ وبدأ الأطباء

الموجودين في الخيمة إجراء الكشف الطبي عليه والتأكد من وفاته ..كان مصاباً بطلقات نارية في البطن والرأس والصدر ..كان ينزف بشدة وكل ملابسه مصبوغة بدمه وملامحه كلها مستترة خلف قناع من الدم... نهاد لم تحتمل فأصيبت بإغماءة من هول المنظر .. بينما بدأت فاتن في التعاون مع الأطباء، جاءت بمنشفة بيضاء صغيرة وبدأت تمسح وجهه بيديها المرتعشة.. ولكن ثباتها لم يصمد طويلاً ..حيث أنها بدأت تندهش تدريجيا كلما مسحت الدم من وجهه فانكشفت لها ملامحه وهي غير مصدقة ما تراه، ليس فقط لأنه يبتسم صوبها ابتسامة ناصعة البياض وكأنه لازال حياً .. ولكن لأن هذا الشهيد هو أحمد المصري الذي أحبته في صمت ولم يمهلها القدر.. بل ضن عليها بالفرصة التي تعترف له فيها بحبها.

اختلطت المشاعر..ما بين الثبات والصدمة التي تحجرت فيها عينا فاتن ولم تستطع زرف دمعة واحدة.. فقط ظلت تمسح دماءه و تتأمل ملامحه وتتمعن فيها وأغمضت له عينيه الشاخصتين .. ولأول مرة.. أمسكت بيده .. ولكنها كانت باردة ساكنة ...

بصوت متهدج وطبقات صوت محبوسة مبحوحة ، مرتعشة وخافتة همست له الشهادتين... وظلت تكررها حتى غطت له وجهه وجسده بعلم مصر الملطخ بدماءه والذي اعتاد أن يضعه حول عنقه وأكتافه دائماً ..

استمرت تحدثه بما في نفسها وتلقنه الشهادتين وتحدثه عن وعد الشهداء ..وظل المحيطين به يلقنونه الشهادة ويوصونه بالثبات..حتى أخذه ذويه وأصدقاءه في مسيرة مهيبة يجوبون الميدان يهتفون حاملين جثمانه فوق أكتافهم ... وابتعدوا به حتى غاب رويداً رويداً عن ناظريها إلى الأبد..

حينها فقط .. أدركت فاتن أن أحمد المصري فارقها ولن يعود ..وتمنت لو أنها استطاعت منعه من الخروج واستوعبت عينيها فراق الحبيب فبدأت بإطلاق العنان لسيول من الدموع غطت كامل وجهها، وأزالت كحل عينيها وبللت ملابسها..وهي في مكانها بلا حراك لازالت في قمة الزهول تنظر إلى يديها وملابسها الملطخه بدمه وتتسائل ...

من الذي سيخرجنا من هنا ويوصلنا للمترو بأمان ؟؟

فقدته فجأة كما قابلته صدفة وفي نفس المكان ... رحل وضاع كريشة في مهب الريح . ولم يتبق منه سوى صورة شحيحة في الذهن .. ونبرة صوت تأتي في ذاكرتها كصدى من ينادي من بعيد في غابة سوداء ...

و سقط الحلم كما تسقط أوراق الخريف..

obeikan.com

المريول الأصفر

obeikan.com

على نفس الحال التي أصبح عليها كل يوم ..
أحدهم يخاطبني على الفيسبوك يسألني عن أحوالي..
فأقول له بأسلوب ينم عن الضجر: بخير
فيردف : وما الجديد في حياتك ؟
فيكون ردي المعتاد لمثل هذا السؤال: (لا جديد تحت الشمس)
الكل سواسية..
- وعن الحب حدثيني ألا من جديد ؟؟
- تشغلكم سفاسف الأمور وتنسون واقع حياتكم وأمتكم.. أنظر حولك ستجد ما هو أعظم من قصص الحب التي أخوضها..
أسكت .. فيغرقني بكم رسائل معبأة بالأسئلة المتطفلة دون إجابة مني...
وعلى الوجه الآخر المخفي الذي لا يراه، وجه جميل يكشف الأشياء ولا صوت حولي ليفتك بإسار الصمت فيبتر استغراقي في تأملاتي البعيدة .
لم يعد يشغلني حب أو غرام فكل هذا العهر غير مسموح به في عصر راديكالي انتهت فيه شفافية المشاعر وتمزقت تلك الغلالة الشفافة في ظلمة آخر الليالي الباردة الخرساء فأضحت تحل مكانها الضبابات السود، وعوادم عربات الأجرة، وزحام الناس وضجيج الشارع المعقد المتداخل المنفصل المتصل المتوازي والمنحدر كل بالتزامن؛ ولا مساحة حتى لأن تنعم قليلا في غفلة من الزمن بما حصدته من الماضي الجميل..
بغض النظر عن الحقبة الزمنية التي عايشها كل انسان فأنا مؤمنة بأن بداخل كل واحد منا ماض جميل يخصه هو وحده .. حينما كانت بداياته مع الحياة والأشياء..
فما أجمل البدايات.. إشراقة اللحظات الأولى.. وعذرية أيامنا البيضاء في عهد الطفولة المبكر..
ففي عالم مزدحم بالبشر, وشوارع مكتظة بالمارة، وحولي في كل مكان أشخاص كثيرون يروحون يجيئون يتكلمون كثيراً فلا أسمعهم, ولا أراهم في عواصم مررت بها من قبل وسأعبرها حتماً إلا أنني, أراها خاوية كمدن لم تطئها قدم وكأن كل الأجساد المتلاصقة لا وجود لها, وأنا أحيا في عالم خاوي موحش بمفردي

أعاني من اللاوجود والعدم أبحث عن شيئ لا أعرفه, وأتخذ قرارات بالإنزواء والعزلة أكثر حتى أعثر على شيئ ضائع مني لا أعرف هويته.

في خضم معاناتي مع المشهد العبثي والهزلي الذي أعايشه كل يوم في رحلة الولوج إلى معمعة الحياة لحين الوصول بمعجزة إلى حيث مقر عملي .. تتفتح لي ثقوباً في جدار الوعي تختبئ خلفها دنيا ما كان .. تلك الثقوب تقفز إلى الإنتباه هنيهة فتنبثق منها مشاهد أحببتها.. وأخرى كرهتها..
بوابات على الماضي..نادراً ما تداهمني تلك الحالة.
بالأمس كان الثقب موغلاً في الماضي الجميل ليكشف عن بانورما ساحرة أخذت وقتها وانقضت ..وبرغم جمال ما فات فإن آلام مروره لا تزال تدمي القلب ولازال سيف الماضي متعمقاً في جراحي التي تشد عليه فلم ينسل منها كي يعود ليحتجب بغمده..
وحيث الثقب طاعناً فإن الذكرى نافذة عالقة بالذهن.. نفاذة الرائحة ولا أعرف من أين أتى شذى عطري القديم حين تذكرت ما كان... و لكني أقسم على هذه السطور أنها حكاية ستظل إلى الأبد .. ضد النسيان..ربما غطتها الأتربة على رفوف الذاكرة وحسب.
لكنها حية لم تمت..
كانت بضع أيام جميلة قضيتها كالخيال الساحر ..كان يمر الليل علينا في كل يوم حاملا في طياته صفحة جميلة من حكاياتنا..
لم أعرف الخريف أبدا وقتها ...لم أعترف بوجوده..برغم سقوط أوراق الشجر اليابسة ..وذبول الزهر... «سمه الأمل في مهده»
ولم يكن الكرى صاحبي فقد خاصمني كثيراً حين صادقت السهر لأجل عيون المحبوب ..
لازالت أوراقي وسطوري وصفحاتي وحبر أقلامي في متاهة وغموض..حين السؤال عن فلسفة الزمن والوقت وأحوال من كنا نحبهم..
في تلك الأيام كنت تلميذة في المدرسة الثانوية، ترتدي مريولا أصفرا وتحمل على ظهرها حقيبة سوداء محملة بالأسفار ..

أذكر كيف كنت أحارب عقارب الساعة من أجل أن تمر ويقترب موعد الصباح فألقاه في طريق المدرسة بفعل الصدفة المصطنعة..
أقفز فوق السلالم غير عابئة بكيد البرد الذي يمزق الأبدان والجليد المتساقط في الخارج كاسياً الأشجار وجوانب الأرصفة ..فأسير بخطى عاشقة نحو إنسان أحبه في غبش الفجر...
وحين اقترابه نحوي ...ممسكاً بيدي يمنحني بعض الدفئ وسط الطريق حيث اختلطت عتمة الليل بخيوط النهار...
لم تكد تنته أيام الثانوية بعد، وبرغم ذلك كنت أدرك قيمة ما أحياه وكنت حريصة على أن أحب زماني وأن أنهل قبل أن تنته أسعد الأوقات .. ومن شدة اشتياقي أحس وكأنه مر على كل برهة تمضي في حياتي معه كثيرا جداً من الوقت .. ويظل هو في تفكيري ...
شاردة طيلة النهار لا أفهم شيئا من دروسي ..أسرح كثيرا حيث يكون وكيف يكون...
ألمس يديه وهو لا يدري، ألمسها وأقبلها كما فعل بيدي مرة ..أشم عطره وأنا بعيدة عنه وفي مكان غير مكانه ..
أحلم بلقاء آخر ولكني أخشى نهايه اللقاء ..كنت أركض نحوه يسبقني إليه شوقي من الشرفة ..وأقول لنفسي من يبقى معي ويملأ الكون من حولي غيره.. فأااه لو نحطم المسافات ..
لا أدري ما يدور في بالي ...
لا أدري كيف شغل تفكيري طيلة الوقت ولماذا حين كنت أفيق من غيبوبتي فيه أجد الوجوه غريبة لا يجمعها قاموس..؟!

عند عودتي للمنزل كنت مهووسة بدروس الموسيقى والبيانو..وبرغم سمفونيات ومقطوعات الموسيقى اللانهائية التي أفرزتها مواهب باخ وشوارسفكي وموتسارت وبيتهوفن لم أكن ألعب غير تلك المقطوعة التي كان يعشقها «روميو وجولييت» فقط!

في ابتعاده .. كان يخيل لي أني عصفورة أرقة لا تعرف لها عنوان أو مأوى..
كنت أعشق الذوبان في ذكرى لقاءنا الأول تحت المطر..وكلاما قديما قلناه .. وموعد القدر «المزيف» على السلالم..
في ابتعاده ذبلت الرياض وجفت الحقول فرفضت البساتين الطيور، ورفضت الجنان الزهور ...اهتزت على الجانب الآخر من العالم جبال الهيمالايا ..
تفجرت المتاعب كلها ..
فيمر الليل كالعجوز ويمسي الطير بغير جناح ..

كنت مراهقة نزقة مندفعة..
هدمت من أجله قلاع ...وسمحت له باحتلال مدينتي..

وأعاود السؤال الساذج ذو الإجابة المعروفة مسبقاً.. ماذا لو تعود الأيام ؟!
فأجدد عهدي الميت معه ويراقصني كما راقصني في تلك الليلة؛ فأنهل من عمق الاحساس باكتشاف مجاهل العشق لأول مرة كما كنت حينما توهمت في مراهقتي تلك بأن حبي يفوق مثلث برمودا غموضاً.

أذكر كم مرة التقينا وانتحر الحزن بعدها برغم المستحيلات ..
أذكر تغريد الطيور حولنا برغم ما قضيناه سويا بداخل فجوة الهم ..
أذكر قطرة دمي التي سالت على صهوة القلق وأطفأت نيران الغضب..
رغم ليال وليال...

أذكر كل شيئ... أذكر كيف انطفئ نوري كله وأفلت مني الصبر حينما افترقنا فمزقت أوراقي ويومياتي، ورميت زماني وذكرياتي، وقصصت ضفائري لأول مرة وأعلنت العصيان والغضب من بعد الرحيل ..
فلم أعد أنا بعدما رحلت عني ..تحولت وتبدلت من بعدها ...
ألقيت الماضي كله في صندوق المهملات وأزلت الأوراق الممزقة التي حملت نزقي وجنوني كالقاذورات بالمقشة ...

عن لحظة عتق لن تجيئ .. !

obeikan.com

الوقت يمر بطيئا جدا جدا جدا جدا..
طريقة جديدة لتعذيبي بالوقت..
على خلاف سرعته عندما كنت مع خطيبتي في الماضي
هل يتعمد ذلك اللعين تعذيبي؟..
سجاني سلبني ساعتي... ورُميت في زنزانة انفرادية لا يدخلها ضوء النهار..
تعذر عليّ معرفة إذا ما كنت أحيا في المساء أم الصباح..
سجين بلا جرم إقترفته... كان ذنبي هتاف (عيش ..حرية.. عدالة اجتماعية)
أصبحت وأمسيت أسيرا لقضبان المعتقل الصدئة وجدرانه الصماء ..
حاولت الإنشغال بقتل الوقت لعل شمس الغد تشرق جالبة لي الحرية من بين شعاعها ..

لك الله يا بلادي سامحيني ما استطعت انقاذك..
من يدري عني وأنا أرهف السمع لأصداء الصمت المدوية في زنزانتي الضيقة في غيابة كهوف سحيقة أناجي نفسي في برهات مقتطعة من أيام مفقودة في عمري.
خلف الجدران الكئيبة أمضي مع النسيان مُهمَلاً، أهفو للخلاص من قيد مرارة المكان الأخرس إلى زمن آخر، لأنعم بدفئ الشمس المتجدد فوق أرض الوطن..
ألا من نصيب يَفُك أسري وينتشلني إلى متسع من البهجة والرحابة..

الأبواب موصدة..
ولاشيئ يمكنني أن أفعله سوى الإنتظار والصبر..
وتصورات تؤرقني عن الحرية ..
وجولاتي الخفية سراً في ذاكرتي الفسيحة حينما كنت حراً ..
محبسي يقين يغط في موت طويل..

ها هي قرقعة الأغلال تصنع صدى هائلاً في فراغ سجني البعيد..
لعله سجاني قد حضر..لأتكلم معه.. الإنسان الوحيد الذي أشاهده كل يوم

دون غيره، كالعادة أحدثه فلا يجيب.. لا أعرف صوته..
أتحفز متجها صوب الأبواب البائسة لعله يحمل خبر حريتي
ولكن هيهات...
من تحت عقب الباب مساحات فضاء من الحرية، خيوط من ضوء يجلب في ثنايا بصيصه بعضاً من التصورات والدهشة.
نافذة رفيعة جدا تطل على الحياة كي يمتلئ النظر بالأشكال..وحركة الكائنات.. الضوء والألوان...
حيث الأنوار والحركة والبشر يتنقلون، يتحدثون لبعضهم، و يمشون على الأرض يمتلكون وجودهم، ينعمون بالحرية بلا أصفاد، يفترشون الأرض ويلتحفون بالسماء يرون البحر والنهر والشجر..
بينما حالي كما هو في الزنزانة الراكدة ذات الجدران المتكلسة ..قابع إلى الأبد وكل شيئ يتغير ويتجدد، إلا زماني متجمد بلا حراك..

تحايلت على الملل والضجر.. مرات بالسجود ومناجاة إلهي
ومرة بالرسم فوق الجدران..
رسمت وجهها بالطباشير..حبيبتي التي لم أودعها..
فارقتها دون أن أقول لها أنني قد سامحتها...
كم مضى منذ فارقتها ؟..لا أعرف
فحتى عد الأيام ممنوع عني...
حائر أنا بين الليل والنهار..
وتمضي الأعوام..
سلبت حريتي بالأمس وضاع الحب كما تضيع ذرات المطر في المحيط
واليوم تتسلل الأيام من عمري كما الرمال الناعمة من بين الأصابع
وتبقى لي فقط غصات في القلب وأوجاع سجني اللامنتهي ..
وتداعي الصور إلى رأسي عن لحظة عتق لاتجيئ...

أنواء عيد الميلاد..!

obeikan.com

الأسكندرية في ليلة رأس السنة تغني ترانيم الكريسماس ، والمتجول بسيارته ليلاً يستمتع بمشاهدة تلك الإستعدادات والزينة تملأ المحال وسانتا كلوز أو بابا نويل يلوح لك في شوارع الإسكندرية الأرستقراطية المبلله بماء المطر....
في كفر عبده.. أو وابور المياه وحتى زيزينيا.. أو سان ستيفانو.. الشلالات ..
شارع السلطان حسين..شارع فؤاد...
والمقاهي الأنيقة في تلك الأحياء تتزين بالزينات الخضراء والعقد الحمراء
و(جورج مايكل) يغني في إذاعة البرنامج الأوروبي :
(في ليلة الكريسماس الماضي أهديتك قلبي ....)
وبائع متجول بين السيارات في إشارة مرور المعسكر الروماني يبيع ألعابا مضيئة...
أنواء عيد الميلاد والسماء تمطر على زجاج السيارة عشية العام الجديد كأنها تبكي رحيل شيئ ما لا نعرفه..!!
أقود سيارتي في شارع أبو قير لأسلك طريق الكورنيش متجهة من منطقة رشدي إلى منطقة بحري من ناحية شارع سوريا ..أمسيات شتاء الإسكندرية مختلفة على البحر، تتلاطم الأمواج والطريق سالك، هدوء رائع
وأنا لا أنتظر أن ينتهي المشوار فجسدي يشعر بدغدغة البرد..أرتعش رعشة لذيذة تحفز استجداء الدفئ، هاتفي يضيئ إنهم رفاقي يستعجلون حضوري(للجراند كافيه) في بحري قبل حلول الحادية عشر لألحق بالإحتفال من بدايته..
كانت ليلة ليلاء , دقت الساعات, وعمت الإحتفالات أرجاء المدينة..
مسلمين و أقباط..
والألعاب النارية والمفرقعات ودوي طلقات تعلن قدوم العام...
وصراخ فتيات وصبيه مراهقين ..كرنفال نعيشه كل عام..
أجراس الكنيسة..الترانيم..
وهزيم الرعد السكندري يعوي في السماء ..
لكن في هذا اليوم بالتحديد لم يكن شيئا اعتياديا بالنسبة لي..
أحس قلبي رجفة..حتى أنني دعوت الله بأن يعم الخير العالم .

على شاشات المقهى انقطعت الموسيقى..وتغيرت القناة ..إنها قناة الجزيرة رأيت جميع رواد المقهى وهم ينظرون نحو الشاشات باهتمام مبالغ ..
لم أستغرب الصورة في البداية حسبتها في غزة أو العراق أو أفغانستان لا أعرف....من كثرة الصور التي نراها من قتل وانتهاكات أصابنا مرض إعتياد صور القتلي في كئابة ويأس.
لم نهتم أنا ورفاقي بالحدث، انتهت حفلتنا وارتدينا معاطفنا وفتحنا مظلاتنا لنحتمي من المطر ركبنا سياراتنا وعدنا إلى بيوتنا..

و في الصباح...
كانت بداية تشاؤمية لعام جديد.. الصحف في صفحاتها الأولى تنشر صور أشلاء وشهداء ماتوا في ليلة رأس السنة في كنيسة القديسين بالإسكندرية..
القلب يقطر دماً..والدموع تنسكب رغما عن الإنسان أمام مشهد الغدر والقتل...
اتجهت في الصباح بسيارتي نحو سيدي بشر في محاولة للدخول إلى شارع خليل حمادة ..ولكن... فوجئت بالصد والمنع من كل اتجاه ..

و السؤال الدائم لماذا ؟ و لازال إحساس يطارد الكيان بأن مصر حزينة منذ سنوات....
هل يكون هذا الحدث هو بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير؟..

obeikan.com

ثورة المكروباص

obeikan.com

انقضت ساعات العمل .. مرت سريعاً ..لتتذكر نادية مقولة (الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك)..

حملت هم مشوار العودة إلى منزلها ليس لابتعاده وإنما بسبب تكدس الطرق الدائم وإزدحام المواصلات المستمر.. بعد قليل ستكون في ميدان الجيزة الذي يشبه شخبطة طفل عشوائية على ورقة ملونة ..

ستمرُ حتماً من بين تباعين ينادون من العربات المتهالكة وعربجية يقودون الكارو وشحاذين وباعة جائلين يفترشون الميدان وينادون على بضاعتهم بعشوائية حيث يبيعون أي شيئ و كل شيئ تافه ورخيص..ويتزاحمون داخلين في اشتباكات كل دقيقة ... فيذكرك منظر الزحام من أعلى بمشهد نفرة النمل من جحوره ..

ستخترق نادية الزحام و ضجيج أصوات مواتير السيارات وصراخ آلات التنبيه ودخان عوادم العربات البالية وعراك الصبية والبائعين والموظفين العائدين إلى بيوتهم

ستندمج وسط جموع البشر .. و تلتحم بأجسادهم وتلتصق بعرقهم وتصتدم بخطوط طولية وعرضية محفورة على وجوههم ..

بعد قليل ستقف ربما لنصف ساعة أو أزيد بقليل و سط كل هذا لتجد لنفسها مكاناً تتكوم فيه بداخل ميكروباص متهالك يشبه علبة «الأنشوجا» شكلاً وموضوعاً .. ثم يخبر السائق الراكبين بلهجة مستفزة هجومية .. (الأجرة جنيه و نص يا حضرات) فتبدأ المناوشات بين الركاب والسائق ويقررون القيام بثورة على سواق الميكروباص كما قاموا بالثورة قبل ذلك على حسني مبارك!!

في المعرض...!

obeikan.com

في أحد الأيام تلقيت دعوة مع أصدقائي لمشاهدة معرض للفن التشكيلي في دار الأوبرا المصرية وكنت عاشقة للفنون ولي قراءات متعددة في مجال الفن التشكيلي وفلسفة الفن وتاريخ الرسامين والنحاتين، في الحقيقة عشقت كثيرا مشاهدة الفنون التشكيلية وتساءلت في ذاتي عن إهمالي لفترة طويلة زيارة مثل تلك المعارض..وأمام إحدى اللوحات التي تصور عاملا من الفلاحين وهو يرفع فأسه بذراعين أسمرين قويين سرحت في قصة اللوحة..وانغمست في ذاكرتي متأملة..

بعض الناس حينما تشاهدهم تشعر للوهلة الأولى أنك تشاهد لوحة فنية مرسومة بريشة فنان محترف وحساس..
وهذا هو الشعور الذي انتابني عقب ما شاهدت أبو صلاح لأول مرة ...
رجل تخطى عمره السبعين عاما سمرته ناتجة عن الشقاء تحت الشمس العمودية وتلك الحفر المرسومة على خديه كالطرقات تخفي أثر أي مشروع للإبتسام... نحيل الجسد تكاد تحسبه خيال المقاتة حينما يرتدي قفطانه المهترئ الممتلئ بالثقوب وتكاد تنفطر ضحكا من منظر عمامته الكبيرة .. ولكن سرعان ما يتأسى قلبك من منظر أنامله ويديه المرتعشة نافرة العروق..

أبو صلاح كغيره من الباحثين عن لقمة عيشهم يعمل خفيرا في إحدى البيوت في منطقة نائية عن العمران تحيط بها الصحاري من جميع الإتجاهات فيما عدا بعض البيوت المتناثرة و المتباعدة عن بعضها والتي مازالت تحت الانشاء في إحدى المدن الجديدة بالقاهرة...ولأن أبو صلاح متمرس على حياة الشقاء فإنه لا يعطي اهتماما للعفاريت التي تظهر له في المساء والجن الذين يطارده و يلاحقه على حد قوله!!!

صوته يقلقني ونبرة مرتعشه تكاد تخرج من بين شفتين متعبتين ونظرة عجوز فاني يسير محني الظهر وكأن جسده مجموعة من العصي الخشبية المتحركة كالماريونت التي نشاهدها في مسرح العرائس...

حاولت جاهدة أن أبحث عن عينيه ولكنها كانت غائرة فلم استطع تحديد لونهما، ولا أعرف كيف ينام على هذه البطانية في شهر يناير.. وكيف يحتمل ظلام وصمت الليل ..لا يؤنس وحدته غير هذا الحطب المشتعل وسيجارة رخيصة ينفث فيها همومه وكوبا من شاي نشارة الخشب يذكرني بالشاي الرديئ الذي حكت لي عنه جدتي، والذي شربته في السبعينات كان اسمه على ما يبدو (شاي الشيخ الشرّيب) !!!

دخلت بالصدفة هذا العقار الذي يعمل به أبو صلاح كحب استطلاع فاستقبلني (بحر) كلبه المقرف بالنباح.

طلبت من أبو صلاح مشاهدة تصميم المكان فاستجاب و أثناء التجول تجاذبت معه أطراف الحديث فاستهواني حديثه الغير منتهي ومكر الفلاحين الذي قرأته في عينيه ومن سياق كلامه عرفت أنه ليس من الصعيد ولكنه فلاح من الفيوم..

تركنا أبو صالح نشاهد المكان وذهب يستعد لصلاة الجمعة فخلع قفطانه .. عجبت من كمية الرقع الموجودة على ملابسه الرثة وأثناء ذلك تركت المكان وعدت إلى حديقة منزلنا المجاور...

تنبهت فجأة عندما نغزتني صديقتي فانتبهت من شرودي، وانتهت رحلة المعرض وخرجت مع أصدقائي لنجلس على أحد المقاهي وسط باحة متسعة في دار الأوبرا لنتسامر ونخرج من موضوع إلى آخر حتى انقضى الوقت بحلول المساء فتركتهم وذهبت لأستقل تاكسي وأعود للبيت ...

obeikan.com

اليوم الأول لركوب الدراجة ..!

obeikan.com

نجحت في الصف الثالث الإبتدائي .. كنت تلميذة نجيبة..
هكذا قال أستاذي لأبي...فرحت بمباركة الأقارب... إحساس لا يضاهيه إحساس أنا متفوقة جدا.. وسأصبح ذات يوم طبيبة...طبيبة أطفال أو طبيبة أسنان لم أقرر بعد...
كانت الدراجة مشروطة بنجاحي، يشتريها أبي لأتعلم ركوبها .. كنت أنام فأحلم بنفسي وأنا أحلق فوق دراجتي ... كانت أقصى أمنياتي تلك الدراجة التي طالما تمنيتها.....
كالفراشات أطير بضفيرة طويلة تتدلى أقصى ظهري وغره غزيرة فوق جبيني .. راكبة دراجتي البنفسجية ..
كنت أفقد التوازن في البداية فأسقط وتجرح ركبتي ..
لكنني عقدت العزم على الإحتراف لأدخل السباق مع أصدقائي الذين سخروا مني لأنني لا أمتلك دراجة مثلهم...

كان أبي يدفعني بالدراجة فتسير مسافة بعيدة قبل أن أفقد السيطرة فأسقط بالدراجة دائماً ...

وفجأة وجدتني أقود الدراجة دون أن أسقط وأسرع فأسرع وأجوب بها المنحنيات واستعرض الصعود بها على المرتفعات والقفز بكل توازن دون وقوع ....
وقتها سمعت تصفيقاً وصفيراً من أحدهم كان يراقبني طيلة تلك الأيام دون أن ألاحظه..
لم أتحقق من هويته جيداً...
وبعد أيام واجهني صديقي الصغير المحترف في سباق الدراجات (كيف وأين هو الآن) بأنه كان يراقبني من خلف شرفتهم..
تحداني في أول سباق...

دقات قلبي متسارعة تعلن التحفز.... متشوقة لخوض مضمار السباق..
توقفنا عند حافة الحديقة الكبيرة أنا على اليسار... وهو عن يميني
قدمي على البدال ..و الأخرى أستند بها على الأرض ممسكة بمقود الدراجة
وهو كذلك .. والصبيه متراصون على الجانبين ... يعدون عداً تنازلياً ..

وبدأ السباق...

كانت حركة ساقية على البدال سريعة جدا فسبقني... تحفزت أكثر...
أسرعت حركتي ...أكثر فأكثر...
حتى صار خداي بلون الدم ... وتصبب العرق مني ... و علق بنطالي القصير في شيئ ما بالدراجة فتمزق ولم أهتم..
كان كل هدفي أن أسبقه ... كنت قد قررت أنني سأفوز بالسباق مهما حدث...

هو يتقدمني...
وفجأة... وجدتني وقد أصبحت بمحاذاته ... تحمست أكثر شددت همتى وعزمي بقوة.. برغم شعوري بألم وعدم قدرة على التحمل...

أصبح جزء صغير جداً من دراجتي يتقدم دراجته...
أصابني الغرور...
صيحات و نداء أصدقائي والمتحمسين لي يتصاعد...

شعرت بالثقة ...

تقدمته... وسارت دراجتي مسافة متقدمه عنه...
وقتها شعرت بالراحة وقفت وأنا أقودها ...والهواء يلفح وجهي وتتطاير غرتي وينكشف جبيني...

obeikan.com

وصديقي يحاول اللحاق بي... في فمه مصاصة حمراء لونت شفتيه ...
وأنا أنظر إلى الخلف باتجاهه لأشاهد الغيظ في عينيه....

زادت سرعته ... ارتبكت..
سيسبقني مرة أخرى..
اقترب مني... شاهد الغلام القلق في عيناي

حتى عاد مرة أخرى بمحاذاتي.... و قال لي لا تخافي لن أسبقك سأخفف من سرعتي .. مدي يدك إلى جانبك باتجاهي ..

أمسك يدي...أمسكت يده وبالأخرى أحكمت قبضتي على الجادون ...

قال لي لا تخافي... أنظري الى الأمام... وقتها كان قرص الشمس ينحدر نحو الأسفل ولم يتبق منه إلا بعض شعاع متسرب من بين أغصان وأوراق شجر النبق الذي ملأ حديقتنا...

كنت أصرخ عالياً ... وأقول له أسبقنيييييييي...
كنت أريده أن يسبقني في تلك اللحظة لأنهي السباق..
ولكنه رفض... وقال لي ستفوزين في أول سباق كما وعدتك..

انتهى السباق ...ولكن
لم يسبقني و لم أسبقه ....

وانزوينا واضعين الدراجتين فوق بعضهما البعض إلى جانب سور الحديقة وجلسنا فوق العشب نحكي وساقينا القصيرتين قبالة بعضهما البعض ...

obeikan.com

الرجل الذي فقد عقله..!

obeikan.com

أوراق مبعثرة..كتب مقلوبة...أعقاب سجائر..أقلام...مناديل.. أكواب شاي فارغة ..وفناجين قهوة مشروبة يمينا وشمالاً فوق مكتب (موافي) المحرر الشاب بجريدة حرية الشعب...
يفكر ..يبحث عن شيئ لا يعرف هويته .. يقرأ كتباً لا ترتبط مواضيعها ببعضها.. كعادته اليومية..و يلازمه القلق والوحدة.
وإلى جانب عمله كمحرر في تلك الجريدة الإسبوعية,كان يعمل بائعا في متجر للعطور حتى يغطي تكاليف حياته.
وبالرغم من عمله في الصحافة إلا أنه لا يذكر يوما بأنه قد كتب ما يريد أو نشر له ما تمنى, فتعَوَّد أن يكتب قصصا من الحياة التي يعيشها ويضعها في أدراجه, ويقفل عليها فلا ترى النور ...أديب يقرأ ويكتب لنفسه...يعيش التجارب ولا تخرج رؤيته خارج جدران غرفته الكئيبة الفقيرة والمبعثرة...
وككل يوم يشم مئات العطور, و يرى عشرات العيون السوداء والخضراء والزرقاء في متجر العطور..
وفي آخر الليل بين كتبه وأقلامه وأوراقه لا يرى غير ذكريات اليوم والنساء اللواتي يشترين العطور ..
بينما ضاعت صور خيالاته وبنات أفكاره...ولم يعد قادرا على التركيز تحت إلحاح رغبته الشديدة في الكتابة..
وبالكاد يكتب ما هو مطلوب أن يكتبه للجريدة, بكل فتور وبكل رفض ..
وفي أحد الليالي قرر موافي أن يطرد يأسه ويكسر عجزه, وتحدى نفسه وأنه سيكتب أجمل ما يكون, وسيخرج من أحزانه , فجلس قبالة مكتبه كالعادة .. يفكر ويستمع إلى أم كلثوم, التي طالما كانت أغنياتها الطربية ملهمة بالنسبة إليه, حيث يشعر بالإنتشاء , والإنسلاخ من الواقع, والطيران خلف دخان سجائره والغوص في فناجين قهوته ...
وبرغم النشوة والاستمتاع, إلا أن القلم عاجز, والأوراق لازالت بيضاء والسطور عقيمة, وبنات أفكاره يستكبرن ويتدللن ..فكم كلمة حاول أن يستهل بها ولم تروق له, فمزق الأوراق وجعدها وألقاها حوله ..وككل يوم يبكي ويحس بإفلاس قريحته, قبيل أن يكتشفه أحد..

كل يوم يزداد شحوبا ..يزداد غضبا..يزداد إضطرابا ...الإرتباك هو سمته والحزن هو ملمحه ..وفي متجر العطور ينسى الكتابة والسطور بين النساء الكثيرات المربكات السافرات المحتشمات والغاديات والرائحات, ينسى بنات أفكاره التائهات وينظر إلى بنات الشارع يرحن ويجئن هنا وهناك...

ضحكاتهن وغنجهن ونظراتهن ..لا ..لم يعد يحتمل.. هذا كثيرا جدا ..احتار حتى أن يستعين بهن كفكرة في رواياته، أو حتى أن يجد بينهن ملهمة بالنسبة اليه..و فجأة يصرخ موافي صرخات عالية هستيرية بأعلى وأقوى ما في نفسه, فتتجمع حوله الناس وأرباب العمل ويسقط مغشيا عليه..يشعر وكأن ألوانا وأشكالا تدور في الأفق وأصوات لا يميزها..وضجيج يحيط به، وطنين في أذنه وتنميل في رأسه ,وكأن قطعا من الجمر قد امتزجت بقطعا من الثلج داخل دماغه..

على مقعد المقهى يقابل صديقه (يحيى) , يشكي إليه همومه وتجربته التي تمتنع عن الخروج , ويسأله عن عجزه ومن يا ترى قد ربط يده وحجب عن خياله الأفكار ؟؟؟ فالكتابة هي الساحة المتسعة التي يمرح فيها ويحقق حريته من خلالها..

فبالنسبه إليه الكتابة متعة من نوع آخر, مختلف عن الخمر وعن كل سجائر الكيف فبمأساة القصص وملهاتها يكتمل في وجدانه شيئا ناقصا ويشعر بسعادة قصوى كلما كتب وكلما رافقته الأوراق واستجاب ...

نصحه صديقه بسفرة في القرى البعيدة؛ وفي مفترق الطريق عند منتصف الليل افترق الصاحبان, وكلا مضى في سبيله...إلا أن موافي ظل يسير بلا هدف يجوب الشوارع...

والحارات والأزقة والميادين فوق قدميه المتعبتين..في ليلة اكتمل فيها البدر, وسكن الليل والشتاء عجوز...يحمل في قلبه أحزان بلا أسباب, فلا هو قد فقد حبيبا ولا عزيزا ولا مالا إنما فقد موهبته وها هو يشيعها فوق هضبة اليأس.. وصور النساء تملأ خيالاته ..ودموعه حفرت مجراها فوق خديه..فاليوم هو اليوم العاشر بعد الأربعمائة, وهو لازال عاجزا على حاله يتألم من أشياء بداخله لا يعرفها وهواجس مجهولة...

لماذا تعذبه الجميلات ولماذا يطاردنه في كل الأوقات ..لماذا يجدهن في خياله بدلاً من أفكاره ..لماذا يعبثن بثروته الفكرية وحروف الكلمات والصور والمعاني. فكلما أوشك على الدخول في غيبوبة النوم, يتذكر طلاء أظافر إحدى زبوناته أو حذاء شاهده في قدم إحداهن, فيقوم ويتوضأ ويصلي صلاة خاشعة فينام بعد ذلك..

وفي الصباح, قرر تنفيذ نصيحة يحيى صديقه فجمع حاجاته
وسافر بلا سابق إنذار, تاركاً عمله حتى لا يرى مزيدا من النساء المخربات لأفكاره...
استقل (موافي) قطارا لا يعرف وجهته , وجلس مهموما مسلما نفسه إلى الأقدار حتى نام في القطار..وحينما أفاق وجد أمامه سيدة فاتنة تظهر من جسدها أكثر مما تخفي, فشعر وكأن الشيطان هو الذي يطارده وليست النساء..فوثب من مقعده وظل يركض واهما بين عربات القطار كالمجنون كالحائر ..أين يهرب أين يروح...
في كل مكان وزمان هناك نساء وهناك سيدات ..فتمنى عالما يعيش فيه من غير أن يكون فيه أنثى...وود لو جمع كل من شاهدهن في حفرة كبيرة وأحرقهن بلا رحمة..
وبعد أن استقر القطار, وجد نفسه في سوهاج دون أن يدري ..كان قد اعتقد أنه ذاهب إلى مرسى مطروح ..اندهش حينما تأكد من أنه في صعيد مصر الذي لم يزره من قبل..
نزل (موافي) من القطار, وأخرج هاتفه المحمول الذي لا يكف عن الصياح وألقاه في صندوق المهملات، وتسائل في نفسه عن مكان يقيم فيه..
(موافي) المكبوت العاجز عن سرد حكاياته ..الفقير...الهارب من اللاشيئ إلى المجهول..هائماً يجوب الشوارع رث الملابس أشعث الشعر, ملطخ الوجه تفوح رائحة القذارة منه من على بعد كيلو مترين ...
وتزداد رغبته في النوم كل دقيقة أكثر من سابقتها...حتى نام على أحد الأرصفة كالشحاذين وأولاد الشوارع والمشردين..وظلت الأحلام تتراود عليه حتى أيقظه

obeikan.com

أحد المارة...

تابع موافي الغريب هروبه وسط النجوع والقرى باحثا عن أفكاره المبعثرة وأوهامه الشاردة كالثكلى التي تبحث عن فلذة كبدها ...
وكل يوم يزداد هذيانه، وفقدانه الصواب ومع إلتزامه الصمت كل يوم تزداد معاناته النفسية التي سببها إفلاس فكره الأدبي وامتلاءه بالفكر في الأنثى...لربما يحتاج إلى أن يتزوج ولكنه لن يرضى بواحدة , وستبقى صور الأخريات تطارده برغم زواجه؛ فكثيرا ما كان في أحضان إحدى عشيقاته وهو يفكر في الأخرى.. وحينما ينال الأخرى يفكر في عطر مثير ملأ أنفه ..إنه مريض بالنساء وينبغي أن يعالج نفسه..
ولن يبرأ أبدا مهما طالت به الحياة..
وأخيرا أيقن أن لا أمل, فضعف إيمانه ووسط محاولات التوبة الفاشلة .. ومحاولات نسيان تلك الأفكار المخزية المسيطرة عليه لمعت في ذهنه فكرة حتى يتخلص من أفكاره الفاشلة ويبدلها بأفكار تصلح للكتابة..فعقد العزم على تنفيذها..

وحينما حانت اللحظة التي قرر فيها تنفيذ خطته توجه بكل أوجاعه نحو محطة القطار حتى ظن نفسه أنه عائدا من حيث أتى وفي طريقه شاهد امرأة منتقبة لم يرى منها إلا عينيها ويا كم كانت عينيها ساحرة..(سحقا سحقا) قالها في نفسه ولعن رغباته القذرة وتمنى لو تأتيه فكرة يكتبها ويضعها في جيبه, إلا أن خياله ضن عليه وزاده قهرا ورهقا..

ظل (موافي) واقفا واجما ينتظر القطار, حتى لاح في الأفق البعيد، وأوشك على الإقتراب وهو يطلق صافراته, وعندما اقترب القطار أكثر فأكثر من رصيف المحطة واقتربت المسافة إلى أقل من متر بينه وبين القطار ..ووسط صراخ وفجيعة الناس والمسافرين ،ألقى بنفسه من فوق الرصيف تحت عجلات القطار التي سحقته وسحلت جثته في ثوان ..

وبذلك تخلص (موافي) من خزعبلاته وهذيانه, و ماتت معه كل الأفكار المخزية والمجدية في آن واحد, واختلطت أمنياته وأحلامه بدماءه وأشلاءه ودفنت معه إلى الأبد..

obeikan.com

المغتربة

obeikan.com

تصدح أغنية جميلة يشدو بها حمزة نمرة في الراديو معبراً بكلمات مسيلة للدموع قبل البدء في سرد الحكايا ....

غربة لغربـــة مرمية دنيـــا
و ف كــــل رميـة بنكســـــر
و العمر قايــــلى باقى ثانية
و استنـــى حلمـــى ينتصـــر

كل شيئ يبدو مختلفاً , الحياة تسير ولكن ليس كالمعتاد... لها متعة أخرى... متعة المغامرة وخوض معترك الحياة... طعم آخر لم تذقه سالي من قبل..
الحياة جميلة ليس لأننا سعداء , ولكن لأننا نبحث عن السعادة ..

الزمان عقب ثورة يناير...
المكان ..محطة سيدي جابر ..الاسكندرية...

رصيف رقم اثنين في انتظار القطار الأسباني المتجه الى القاهرة.. , وتشير عقارب الساعة الى الواحدة ظهرا قبل موعد إقلاع القطار بساعة ونصف.. المحطة مكتظة بالناس.. والجو بارد شتوي ..
الناس تروح وتجيئ وقطار يذهب وقطار يعود.. أناس يصعدون الى العربات وآخرون ينزلون.. فقراء ومعدمين وعلى باب الله.. وآخرون ميسورون..
ولكن الجو يسوده الضباب وقلبها ملؤه الخوف ومشاعر مضطربة ومختلطة ما بين الحزن.. وسنوات عمر عجاف..
وزمان رحل بلا عودة والحنين الى الحب والأمومة ...وزيجة فاشلة..
وانتظار القطار... وقلق.. وهم ..
وجنود و عسكر الجيش يروحون ويجيئون ..في كل مكان...
إنها الثورة... شيئ غريب كنا نقرأ عنه في الكتب المدرسية ونشاهدها في الأفلام والمسلسلات...

سالي لم تكن عمرها ثورية ولم تهتم بالسياسة قدر اهتمامها بالفنون...
كانت عاشقة لمصر كارهة لمظاهرها السلبية ..وكم شكت أن شيئا غريبا حدث في البلاد منذ سبع سنوات فأصبح هواء مصر محملا بالقذارة وملوثا بالسواد.. وبالهباب والفساد ... حتى أن الناس تغيرت في كل مكان وصار الطابع الغالب هو طابع الشؤم و الإكتئاب..
وإن لم تتغير الشوارع و لا الميادين لكن الشعور بالأشياء قد تغير..
منذ أكثر من سبع سنوات قبل ثورة ٢٥ يناير وهي خارج مصر...

***

غريب هو أمري ... في مصر أختنق بدخانها وزحامها وقلة حيلتي وهواني على الناس...
وعندما كانت الطائرة تحملني خارج الوطن كنت أبكي وأرض مصر تحتي تفارقني فأظل أرقب من الجو خطوط الشوارع و نقط البيوت في منظر رأسي من أعلى السماء..و يخفق قلبي للأحباب الذين ودعتهم بين السحاب...
كم بكيت وكم اشتقت لك يامصر... وأنا بعيدة عنك!!

كم تمنيت العودة..كم تذكرتك في شوارع الأخرين برغم جمالها ..و كم صرحت بأن شوارع مصر المكتظة ,, في عيني جميلة الجميلات...فيها صخب الحياة وحركة تجعلك حيا إن كنت غير ذلك .. تهبك أنفاس من الحياة و تلهمك عشقها كالفتاة الجميلة التي تهوى إغواء عشاقها ولكنها لا تعشق منهم أحداً..

كم فاتتني الفرص عندما كان أبناء مصر يفرحون بفوز منتخبهم في المباريات الدولية..كم تمزق قلبي وأنا أشاهد كل هذا فقط في التلفزيون ...
كم غزاني الحنين فذهبت لتجمعات الجالية المصرية أشاهد كرة القدم ..وأهتف في الغربة بحب مصر رافعة علم بلادي، أبحث عن كل تفصيلة تعلن إنتمائي لها في أرض المهجر , كم كنت أفرح عندما أشاهد أحباب مصر البعيدين عنها مثلي...

obeikan.com

و برغم ذلك كسرتني بلدي وتخلت عني .. و لم أتخلى عن حبي لها على طريقة (القط يحب خانقه)
فبلادي وإن جارت عليَّ عزيزةٌ .. وأهلي وإن ضنّوا عليَّ كرامُ

***

وصل القطار و صعدت بحقيبتها ومتاعها مودعة أرض الذكريات والشقاق ... انقضت الساعتان في لمح البصر...وها هي قاهرة المعز ....بكل تناقضاتها ..

وعندما أدركت بكل حواسها أنها رحلت عن أحب بقعة من بقاع الأرض إلى قلبها شعرت وكأنها تقطع ذراعها كرهاً بعد أن أصابته الغرغرينا.
في كل دقيقة تمر .. ألم وهم وشعور الغربة يترسخ من جديد فيها .. الغربة بعيدا عن الأم وعن الأب وعن الأخوة و العائلة ، عن الصديقات..غربة عن موج البحر وعن الموانئ ورائحة اليود والأسماك..
رحلت سالي مخاصمة الزمان والمكان ...مدركة أنها ابتعدت عن غرفتها الطفولية وعن جو الأسرة الدافئ والأخوة الصغار المشاكسون..

وصلت دار المغتربات ..قابلت رجلا ماكر الوجه وسيدة محافظة ..وجلسوا جميعا يتحدثون عن الثورة ..الكبار غاضبون من الثورة ..لأنها أفسدت الحياة وعمت الفوضى..تكلموا عن عدد الأحزاب الجديدة فحكت لهم سالي كل معلوماتها عن ائتلاف شباب الثورة وأحزاب النور والوسط والمساواة والثورة المصرية وحركات ٦ أبريل المسماة بالجبهة الديمقراطية وتحالف القوي الثورية وثورة الغضب المصرية الثانية وتحالف شباب السويس ومجلس أمناء الثورة بالإسكندرية وهويتهم وووووووو..
عن كم الفساد المستشري في البلاد.. عن الوضع الأمني في كل مكان ..وعن غياب الأمن الكامل في الأسكندرية...عن اللجان الشعبية ومغامرات الخمس أيام الأخيرة من شهر يناير الخالد... وعن الإستفتاء الدستوري والإعلان الدستوري وأيام حسني مبارك والعادلي..

بعد قليل صعدت سالي إلى غرفتها لتلتقي بالعالم المجهول ...فتيات من كل المحافظات ومن كل البلاد كل واحدة منهن تحمل قصصاً من بلدتها وقصة خاصة جداً في قلبها...

المكان غير مرتب الفتيات لا يرتبن المكان ولا ينظفن الدار...أغراضهن وملابسهن مبعثرة في كل مكان ..الحياة هنا سريعة الإيقاع...

و العالم هنا غير ما عهدته سالي ..لابد من التعامل مع تلك الظروف ...لابد من الصبر..

وبرغم التعب والإعياء والسهر وقلة النوم فقد جافاها النوم وحرمت منه ربما الى الأبد...

هنا لا أغطية على الأسرة و لا أدوات للمطبخ ولا حتى ستائر..

كل بنت عليها أن تفرش غطاء سريرها الخاص..و تحضر بطانيتها على حسابها..

حتى الأكواب والأطباق.. كل واحدة لها أغراضها الخاصة بها ..

نامت(لم تنام) سالي بلا غطاء ...وبلا عشاء...

عند شروق شمس النهار الجديد .. يوم جديد في القاهرة الكبرى المتشعبة المتشابكة المتداخلة كخيوط العنكبوت...خرجت لأول مرة حيث لا تعلم .. تركب مواصلات متعددة لكي تصل إلى مقر عملها الجديد ...

إنه إيقاع الحياة السريع.. فلسفة مختلفة عن الأسكندرية...

الأسكندرية شيئ... و القاهرة شيئ آخر...الأسكندرية كالسيدة الأرستقراطية أنيقة الملبس والحوار، تشم عطرها من على بعد أميال ..

أما القاهرة فكامرأة عاملة ليس لديها وقت ،في عجالة دوما من أمرها....

بدأت رحلة التعرف على الشوارع بالنسبة لفتاة مغتربة لأول مرة تعيش بمفردها في القاهرة , إنها حياة جديدة بالنسبة لإنسانة متكسرة هربت من كل شيئ في دنيتها حتى ملابسها هربت من الذكريات التي تطاردها في كل الأماكن ...

انتهى يوم العمل في نهاية الأسبوع .. خرجت سالي راحلة نحو دار المغتربات مشت في البرد أعلى جسر يعبر نهر النيل ..كانت الرياح قوية داهمت وجهها فدخلت في مشادة مع شعرها .

في المساء جلست الفتيات يتناولن عشائهن وكل منهن تحكي بعض حكاياتها .. كانت سمر الصديقة المفضلة لسالي تحدثتا عن الثورة وقررتا النزول في الصباح للمشاركة في (جمعة المحاكمة) للمطالبة بمحاكمة الرئيس المتنحي حسني مبارك ووزير الداخلية حبيب العادلي وأعوانه..

وقفت سالي في الميدان لأول مرة وكأنها تقف على شاطئ البحر شعرت بهواء الحرية يتخلل رئتيها...تتخيل شكل الأمل ، وموعد مصر مع الغد.

بعد يوم عمل شاق عادت سالي الى الدار.. لتلتقي سمر ،و شيرين ،وولاء ، وإيمان وسحر ،و نهى، و سلمى ،ورحمة ،ومروة ،وهالة ،وبسمة !!

كانت الدار واسعة وبها غرف كثيرة.. وكانت سالي صديقة الجميع أو على الأقل ودودة مع الجميع ..

كانت الدار مقسمة الى حزبين..حزب اليمين و حزب اليسار..

كانت الخلافات اليومية على النظافة وغسل الصحون ،، والصوت العالي .. وأسبقية الطهي أمام البوتجاز وأرفف الثلاجة والديب فريزير والحمام ..

حزب اليمين بسمة وهالة وشيرين والتوأمتين سلمى ورحمة .

وحزب اليسار كان مكونا من نهى وولاء ونهاد وسحر وسالي

أما مروة وإيمان فليس لهما انتماءات معينة ...

وعندما كانت تنشب الخلافات فقد كانت تنشب بين الحزبين وليس بين الفتيات أنفسهن..

اعتادت سالي على انتمائها وولائها لمجموعتها كانت الفتيات يأكلن سويا وينمن سوياً و يخرجن سوياً وإن مرضت إحداهن تسهر الأخريات على تمريضها .. ولذلك لم تشعر فاتن بالإغتراب أو الوحدة ، لأن لها أخوات غير أختها وأمهات غير أمها يسألن عنها و يقلقن عليها .. أحبت حياتها الجديدة مع الفتيات..

تقاسمت معهن كل شيئ ..كانت متشبثة بهن .. لم تخف ..لم تعد تبكي .. أحست بالأمان العميق ..
وزال خوفها الذي كان يهدد استقرارها ..حيث صدور كثيرة أحتوتها .. وقلوب بريئة آنستها..

وها هي أجازة شم النسيم
عادت شيرين رفيقة السكن من دمياط بعد أجازة شم النسيم ..كانت فتاة مرحة و جذابة ....
شيرين تنادي : يلا يا سالي ... تعالي بسرعة أنا جايبالك معايا هدية ...
سالي: خير إن شاء الله جايبالي إيه يا ترى ؟
شيرين : فسيخ إنما إيه من(نبرووه) من أغلى فسخاني هناك من اللي وصى عليه لقمان الحكيم ..
سالي : شكراً يا ستي بس أنا مبحبوش ..
شيرين : معقولة .. دا جميل .. حد ميحبش الفسيخ ..
سالي: أيوة أنا مبحبوش كفاية ريحته الوحشة دي .. إخييبه ..
شيرين : يا سلام .. طب بس بس متتبطريش هو حد لاقي فسيخ اليومين دول
سالي : مبحبووووش كلي لوحدك
شيرين : لا هتاكلي معايا والله لانتي واكلة .. يلا بأة بلاش دلع ..
سالي : متضغطيش عليا مبحبووووش ..
شيرين : شديلك بصلة و لمونة و دوسي يلا ..
سالي : أدوس إيه يا بنتي لالالالا
شيرين : حبيه عشان يحبك
سالي: أحب مين يا شيرين (الفسيخ)!! طب إتمني لي حبيب مثلا مش فسيخاية...
شيرين : مالك يا بت بتتأمري كده ليه أمال لما بتيجي نفسك في حاجة حرشة بتاكلي إيه ؟؟
سالي : إحنا معندناش حد بياكل الفسيخ و بالتالي معرفوش .. بس أنا باكل رنجة وكافيار وسمون فيميه لما أحب أكل حاجات حادقة ..

شيرين : متفقعيش مرارتي أرجوكي سمون فيمه إيه وكافيار إيه واحنا عند دار عم خيري ولا في شارع حموئة بتاع الميكروباص و بلية الميكانيكي و عبده المنجد وعم صلاح ومرااااته التخينة ..فوقي يا حبيبتي فوقي يا ماماااا و عيشي على قدك ...
سالي على مضض مصطنعة التحسر بتنهيدة طويلة : طيب أجرب
أغرقت الفسيخ بالليمون والزيت و بدأت تتذوق عينة متناهية الصغر ..
ويبدو أن طعمها قد أصبح مستساغاً فكررت التجربة ، وكبّرت العينة ..
وتابعت اللقمة ورائها أخرى حتى تناولت أغلب الفسيخ بينما تراقبها شيرين بذهول و دهشة .
علقت شيرين : إنتي كلتي الفسيخ كله يا هانم و مسبتليش ولا حتة حرام عليكي
طيب أنا هاكل إيه دلوقتي.. بس قعدتي تتدلعي و تعمليلنا فيها الكونتيسة سالي
فاتن: معلش أصله طلع حلو أوي يا شيرين ولذيذ خالص ..
شيرين بامتعاض: بالهنا و الشفا يا اختي..
و انخرطت الاثنتان في الضحك ...
شيرين : الجوع كافر يا اختي ... و تابعت الضحك ..ثم أردفت يلا نعمل شاي في الخمسينة بأة..
سالي: إلا صحيح يعني ايه شاي في الخمسينة ؟؟!!

على الغداء كالعادة تجمعت الفتيات في دائرة على الأرض ..ولكنهن كن صامتات
كل واحدة منهن كانت منشغلة بمشكلة ما على ما يبدو ..
بادرت سالي بالحديث عن زحام الشارع .. كانت إلى جانبها شيرين التي بدت متأثرة ثم قالت لها هكذا الحياة يا صديقتي...
كانت شيرين محامية ... وجاءت لتعمل في القاهرة لتزيد من دخلها .. كانت مطلقة منذ عدة أعوام .. زوجها كان بخيلاً .. و لم يكن ينجب وعندما فترت

الحياة فيما بينهما قررا الإنفصال بهدوء بعدما تنازلت له عن جميع حقوقها المادية ..

كانت جميلة مقبلة على الحياة .. تضع مساحيقاً كثيرة على وجهها ، وترتدي ألواناً فاقعة ...كان شيئاً واحدا فقط يؤلمها ويقلب عليها المواجع ... عندما ترى الأطفال لأنها حرمت منهم بسبب عقم زوجها الذي طلقها وأهدر كرامتها ثم قام بالزواج فور طلاقها وأجرى عملية حقن مجهري ناجحة فأنجب بعدها برغم تلك الآلام التي تعاني منها شيرين إلا أن إقبالها على الحياة كان قوياً وكانت تسعى بكل جهدها إلى الزواج مجدداً ولم تكن تيأس ولم يترك جرح زوجها في قلبها ذلك الجرح الغائر الذي أدمى به زوج سالي قلبها ولم يندمل ابداً حتى بعد مرور السنوات...

الكل ينتقد شيرين و يظن بها السوء لأنها كما يقال باللغة الشعبية الدارجة في الحارات (بت لونة) بكسر الواو ولأنها قبل كل شيئ مطلقة...

عندما يقبل الليل و تنزوي كل واحدة من البنات في فراشها وتنطفئ الأنوار تظل سالي ساهرة تفكر في كلمة (مطلقة)

وتبدأ في سؤال ذاتها تلك الأسئلة الساذجة الطفولية لنفسها (لماذا تخاف المرأة من الطلاق ؟)

ولماذا تحرص شيرين على الزواج بكل هذا الحماس بينما عافته نفسها ؟

و تحدث ذاتها:

لا أسعى للزواج مثلهن .. هل أنا خطأ ؟

هل تكتفى المرأة بالزواج فترة معينة من حياتها ثم تقضي الباقي من العمر عزباء .. هل باستطاعتها أن تعيش بلا رجل ؟

لماذا يقولون ظل رجل ولا ظل حيطة ؟

في ماذا ينفع الرجل إذا كان أناني وسلطوي ومهيمن وظالم ؟

هل يحتم علينا كنساء أن نحيا تحت سطوة الرجال تابعات ..

إن حالي شبيها بحالها .. فأنا أيضاً مطلقة .. ولم أنجب أيضاً.. قضيت أعواماً ولا

أعرف هل أنا عاقر أم هو ؟؟
إنني أشاهد الشفقة في عيون الناس وتضايقني تساؤلاتهم لماذا أنا موسومة بعار الطلاق برغم سعيي أنا للإنفصال.. لأسباب أخرى غير الإنجاب..

مر الليل والتساؤلات تتداعى في رأس سالي وهي قلقة لا تنام ...
بدأ المؤذن يرفع آذان الفجر والديكة تصيح فوق سطح المنزل الذي تعيش فيه مع البنات وخطوات المصلين الذاهبين لإقامة الصلاة تصل إلى أذناها مع همهماتهم وكلامهم الخفيض في سكون الفجر.. وبعد قليل بزغ النور رويداً رويداً وتصاعدت أصوات العصافير حتى بدأت حركة النهار ..
قامت سالي و هي تشعر بالجوع ... فكرت في أن تأكل شيئاً لأن آلام الجوع قد اعتصرت معدتها ..ذهبت نحو المطبخ لتفتح الثلاجة وتبحث عن الجبن الذي اشترته منذ أيام بين أطعمة و بقايا مأكولات من تشاركهن الحياة..
فلم تجد الجبن ولم تجد الخبز ... يبدو أن إحداهن كانت جائعة ووقعت يداها عليه فأكلته ...
فظلت فاتن تقاوم الجوع..
وحين استيقظت الفتيات أخذت في مداعبتهن بأسلوبها المرح وقالت لهن: من التي أكلت جبنتي !!!

obeikan.com

البائسة..

obeikan.com

ابتدأ النهار بأهازيج الفرحة وقدوم الزائرين الى منزل الحاج عبد العال وامتلأ بهو المنزل بصدى الزغاريد وأصوات النسوة والجارات والفرحة تعم أرجاء المكان إنه زفاف نجله الوحيد مسعود إلى إبنة عمه زهرة ..

كان زفافا ريفيا بسيطا جمع أهل القرية الصغيرة والجيران

وبعد إنتهاء المراسم شيع أهل القرية العروسان الى غرفتهما في منزل الحاج عبد العال وما هي إلا لحظات حتى لقي مسعود نفسه منفردا بزهرة

الفتاة الساذجة الأمية ذات الإحدى عشر عاما والثلاثة أيام ...

كانت تجربة الزواج فريدة من نوعها بالنسبة لمسعود فطالما حلم بما سوف يحدث في ليلة كهذه وكيف سيواجه الناس في الصباح مفتخرا بما أنجزه وكأنه الغضنفر وكأن الرجولة هي ما يفعله الرجل في يوم زواجه مع زوجته الطفلة المسكينة ..

خرج مسعود من غرفته في الصباح ناصبا ظهره نافخا صدره نافشا ريشه كالطاووس يمشي في خيلاء وعجب مرتديا قفطانه الجديد الذي اشتراه لصباح مثل هذا الصباح المميز ووقف وهو يمسك بتفاحة يقضم منها و يمسح ما علق بفمه من السكر بشاربه الطويل المبروم وهو يقهقه قهقهات عاليه وينادي على مخدومته حتى تجلب له مزيدا من الحمام المحشي والطيور

بينما قبعت زهرة في غرفتهما منكمشة على بعضها ملتفة بثوبها الأخضر وهي ترتجف كالدجاجة المذبوحة وشعرها الطويل منفلتا على ظهرها وعينيها خائفتان وهي تفكر ماذا ستقول وماذا تحكي للناس عما ارتكبه معها مسعود ابن عمها ياللعار الذي حل بها كيف تجرأ عليها وهتك جسدها والدموع تملئ عينها وماذا لو عرف والدها الحاج عبد الغفار بتلك المصيبة

وبينما تتنقل بعينها هنا وهناك في ذهول تذكرت كيف كان الماضي القصير الذي عاشته في كنف أسرتها الفقيرة كيف كانت تحذرها أمها دائما من الإقتراب من أماكن محددة في جسدها حتى لو من أجل النظافة لأن هذه المناطق أماكن لا يمكن أن نلمسها أبدا ولا حتى أن ننظر إليها أو نسأل عنها أنه مثلث الرعب والظلام والغموض بالنسبة إليها.

كانت على الجانب الآخر من حياتها متطلعة إلى مستقبل باهر فكم تمنت لو

أتيحت لها فرصة التعلم كمثل قريناتها في مثل عمرها ..
كانت تحلم بأنها سيدة أخرى من ذلك العالم المسحور في المدينة ترتدي أفخر الثياب و تركب أفخم السيارات و لديها وصيفات والكل ملتف حولها يتطلع إليها وتتمنى البنات أن يكن مثلها ولا تضاهيها أي فتاة في حسنها وبريقها اللافت..

كانت هذه هي أحلام زهرة الصغيرة التي كانت تدرك جيدا كم هي تملك الكثير من الجمال والفتنة التي لا تقاوم والتي طالما استكثرتها على أي فتى من فتيان قريتها الفقراء الشحاذين .

لم تملك زهرة إرادة لكي تمنع هذا الزواج فليست لها الكلمة ولا يعتد برأيها انما هي نكرة على هامش الحياة, ما هي إلا أداة أو وسيلة في حياة أناس اخرين أقوى منها .
لم تعرف في حياتها راحة أبدا ولم تطالب بها لأنها تجهل بها وطالما ظنت أن الصواب هو ما تحياه فهي مُسخّرة لخدمة الذكور كما أمها ونساء قريتها .

عليها أن تضحي من أجل راحة الأخرين فلا قيمة لطفولة تحياها ولا لعلم تتلقاه ولا لأنوثة تعتز بها إنما فقط الفقر والجهل والذل والهوان وأكل العلقم..

كم ليلة باتت بها دون عشاء و كم يوما مضى دون إفطار فالإفطار والعشاء رفاهية لا تنالها بسهولة ..

مضت أيام الطفولة الأولى في حلب البهائم وجمع الروث وبيع اللبن والبيض وكنس البيت وإعداد الوجبات للأب والأخوة الكبار..
لم يكترث بها صغير أم كبير إنما فقط هي خادمة الجميع المطيعة .
تراهم يسهرون في إستذكار دروسهم وهي ساهرة تغزل الحصائر وتعد لهم العشاء ولم تتسائل يوما عن سر حياتها التعيسة..

obeikan.com

وفي نهاية يومها تستلقي على الأرض وتستغرق ببرائتها في نوم عميق وتتابع الأحلام الوردية حلما وراء حلم.. أملا وراءه أمل..

إنها الأمنيات البعيدة ..الغير متحققة ....أو لربما سيجئ يوما ترى النور وتبصر أحلامها حقيقة في يوما ما فلازال العمر مقبل ولازال الشباب في المستقبل طويلا..

هذه كانت حياة زهرة و لا شيء غير ذلك ..إلى أن تزوجت ووئِدت أحلامها مبكرا بين يدي ابن عمها ..

وتمر الأيام والليالي يوما وراءه يوم و ليلة تجر ليلة ..وتنتهي ليالي الزواج الأولى.. ولولا أن مسعود كان يحب زهرة حبا جما لما كانت قد افلتت من سوء معاملة عمها وزوجته القاسيين فقد كان الهدف من تزويج مسعود لزهرة هو التوفير وجلب خادمة بلا مقابل صغيرة لا تتكلم ولا تشكو ولها القدرة على الشقاء كالثور عندما يربط في الساقية معصوب العينين لا يكل ولا يتعب ..

أيام قليلة و سيأتي النبأ السار عن حمل زهرة.. هكذا تقول أم مسعود ..ولكن هذا اليوم لا يجيئ ..
الخير فيما أختاره الله ..و كل تأخيرة و فيها خيرة..
في التأني السلامة..الرضا بالنصيب..عبارات تتردد كثيراً ولكن دون جدوى....
يمر العام الأول...ولم تحمل زهرة ..

أنا ابني زي الفل..الدور والباقي على البور.. فلان تزوج من ثلاثة أشهر وزوجته حامل..وعلان أنجبت زوجته منذ يومين..
- يا مسعود يا أبني النبي وصى بالودود الولود.. الولـــــود يا ابني وانت مرتك مبتخلفش هنجوزك تاني...
- لا أنا بحبها دي مرتي مش رايد غيرها..

- بطل خيابة يا واد..كل شبان البلد اللي اتجوزو بعدك خلفوا واللي اتجوزوا قبلك ملوا بيتهم عيال..
- الصبر يا أمي ..الصبر.. يا أمي احنا لسة مبقالناش سنة..
- اعمل حسابك لو محملتش في خلال تلات تشهر هتطلقها..
- هو الجواز لعبة يا أمي..
- مهو عشان الجواز مش لعبة هتطلقها يا ولدي.
- أسكتي يا أمي و فضيها سيرة..

كان ممسكا بكوب ماء فقذفه بعيداً و ضرب بكلتا يديه على الطاوله أمامه , ومضى خارج المنزل...

أما زهرة فقد سمعت الحوار كله متلصصة ..وكانت تشعر بعقدة الذنب وخائفة من العقاب..وتشعر بالخطر المحدق.. ولكن أي ذنب هذا..وكيف اقترفته ..فهي لا تدري..
وكلما مر يوم ازدادت القيود..وازدادت الأعباء فوق كاهلها..
إنه ظلم الزمان..وظلم المكان...
تركها أهلها لقسوة الأيام وهي لاتزال في سنوات الطفولة..وها هي في منزل أهل زوجها لا تجد مكانا للرحة أبداً بل هي مستعبدة.. الليل والنهار أعمال وخدمات لا تنتهي..
الشيئ الوحيد الذي يحميها.. هو حنان مسعود ورأفته , فقد كان هو الحائط المنيع الذي يحجب عنها كثيراً من القسوة وسوء المعاملة..لكنه للأسف..يتبع قرارات أمه وليست له سطوة ..

تمر الأيام و يمر العام الثاني منذ زواج زهرة و مسعود و ليس هناك أي خبر عن الحمل..كل ما استطاع أن يفعله مسعود أن يرجئ قرار تزويجه للمرة الثانية لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً..
ولكن في المقابل تكبر زهرة وتبدأ أنوثتها في الظهور بقوة , وتستيقظ فيها الفتنة

obeikan.com

النائمة..
و تسلب لب مسعود أكثر وأكثر...و لب كل الرجال , ولا تربح أبدا مع أي امرأة فدائماً الطريق موصود مع النساء بسبب غيرتهن من جمالها..
وكلما كبرت ..ازدادت قسوة حماتها وتحميلها أعباء جديدة فوق الأعباء.

كان الحزن هو السمة الدائمة على ملامح زهرة..حزن وشجن ومسئولية لا تنتهي وخوف من عدم الإنجاب..
وفي أحد الأيام فكرت أن تلجأ لأحد الدجالين المعروفين بأمور الربط وعلاج العقم..ولكنها لم تكن قادرة على الخروج ...

تسللت خلسة خارج المنزل نحو الطريق المقفر دون أن ينتبه لها أحدهم باتجاه السوق، فهناك دجالا معروفا وصفته لها جارتهم سعدية.
جمعت زهرة نقودا كثيرة خلسة من جيوب مسعود..لكي تقدمها للدجال الذي سيعالج عقمها..
سارت بين الأزقة والحوانيت وهي تغطي جسدها كله ووجهها كي لا يعرفها الناس حتى وصلت إلى ساحة السوق وشاهدت بعض الفوضى وصبية يلعبون؛ وتجمهر الفتيان والصبية حول الحاوي..استشعرت وقتها الفضول وابتسامة طفلة على وجهها، اشتاقت للعب وشراء السكاكر ومشاهدة عرض الحاوي..
زاحمت الجموع فدلفت بينهم وأخذت مكانها ونسيت أمر الدجال وعينيها صوب الحاوي الذي بدأ عرضه..

(تسقيفة يا عم تسقيفة يا خاااال..
وصلي على رسول الله...مسلم مسيحي كلنا عبيد الله..أنظر بعينك وارحم بقلبك ياللي توحد الله..
النار دي لا بتتاكل ولا بتتشرب، ولو طالت بيت تولع فيه..هولعها نار...هاكلها نار...هطفيها نار لجل إني ءأكل عيالي لقمة حلال، أحسن ميقولوا الشاب دة سرق، ولا الشاب دة نهب، الشاب دة عمل حاجة تغضب الله...أنظر بعينك

وأرحم بقلبك ياللي توحد الله...
واللي معاه جودة يقدمها واللي ممعاهوش الأرزاق على الله...)
ثم بدأ لعبته الخطرة بأكل النار في فمه ليخرجه منطفئ، ومرة أخرى يعود لإشعال النار في طرف عصاه المعصوب والمبلل «بالجاز» لكي يشتعل، ثم يعاود يشرب من نفس (الجاز) حريصا دون أن يصل جوفه فيرشق به النيران لتتصاعد ألسنة اللهب وتتصاعد معها دهشة وإعجاب أعين الصبية الواقفين، وما أن ينتهى من عرضه حتى يدور على الواقفين يسألهم... حاجة للحاوي يابيه؟؟

وقفت مبهورة تسقف مع الأولاد واضعة يدها في صدرها لتخرج منه بضع عملات معدنية للحاوي الذي تسبب في سعادتها، ومضت تزاحم الواقفين لتخرج من بين التجمهر وتتابع باحثة عن الدجال، ولكن على ما يبدو أنها ضلت الطريق..
عادت بخفي حنين إلى بيت مسعود وهناك استقبلتها زوجة عمها بحنق شديد والغضب يملأ صدرها حتى أوسعتها ركلا وتعنيفا، وياله من عقاب قاس أمام عينيّ مسعود الذي وقف متفرجا وهو يرتجف في حضرة أمه وقد احمرت عينيه من مقاومة الدموع عندما قالت لزهرة بغطرستها المعهودة..
على بيت أبوكي...خلاص مسعود طلقك..وباكر دخلته على البت شربات!!

العقد الضائع..

obeikan.com

حل الشتاء مخبئا القسوة والأحزان، ورحل الوالد آخذا معه أشياءا من القلب، واسترد الزاد الذي استودعه والأمان المنيع الذي أحاطها به منذ قدومها إلى الحياة.
إنها سطوة الموت أيضاً.. حينما يباغت فيحصد دائماً الأرواح الثمينة والمشاعر والأشياء العزيزة..
انتهت مراسم تشييع الجثمان.. وفرغت الحياة من حبها الأوحد، وقد بدأت حسناء في الإنهيار وهي متوجهة نحو الشاطئ وهناك سقطت القلادة من جيدها في يوم مطير شطر فيه البرق السماوات إلى أنصاف كثيرة، ودوى في الأفق هزيم الرعد ليعلو صوته فوق كل الأصوات منتصرا على السكينة والدفئ مهيمناً على الطبيعة.

فقدت والدها وقلادتها الثمينة التي لم تفارق جيدها في يوم واحد، التي طالما اعتزت بها حتى آمنت باستحالة فقدها؛ كأثمن ما تبقى لها من تذكار حب واعتزاز من والدها الراحل..
ولكن..رحل الوالد، وضاعت القلادة بين رمال الشاطئ، ولم تفلح جميع المحاولات في العثور عليها بين الرمال في ظلام ليل حالك السواد.
وبقى الحزن رفيقها على مر سنوات لم تنس حسناء فيها حسرتها يوم الوفاة وضياع القلادة ..التي ظلت تبكيها كثيراً، يوم أن فقدتها وهي تبكي والدها على شاطئ البحر في ذلك المساء الشتوي..

قالوا لها كل الأشياء ترحل..الأحبة يرحلون بالموت والسفر وقرارات الأنفصال ويتركوننا نبكيهم، وأشياءنا تضيع منا وتتركنا وقد تعلقنا ببعضها وعلينا أن نحتمل كثيراً من عذابات الفراق في رحلة الحياة.... ولم تصدقهم..

مرت سنوات الحزن العجاف... وتدريجياً اعتادت حسناء النسيان وصادقت الرضا والصبر، وبهتت الصورة القاتمة كثيرا. وكما تذهب كل الأشياء إلى مشوار الرحيل الذي لا عودة منه أو رجاء رحل الحزن أيضاً في نفس الطريق..

كانت سلوتها على مقعدها المعتاد في مقهاها القديم بين أشجار الليمون والمانجو كما اعتادت لقاء صحيباتها يضحكن ويلعبن النرد بقوانينهن الخاصة التي ابتكرنها، لأنها تعشق الأماسي المبهجة كأن لا حزن آت، أو موت سيباغت، أو مرض يفتك، أو فراق يمزق خيوط الروابط بين اثنين قد عشقا بعضهما البعض.

وحيث رحل كل شيئ ممزقا ما بالقلب ذات يوم ..فهناك يظل صندوقا في الفؤاد يحتوي صورا وذكريات فقدت وجودها المادي، نقلب مابه أحياناً لنتذكر، أشياءا ارتبطنا بها وحدثت لنا ولكن رويدا رويداً لا تأثير ولا انفعال يأخذنا..

وهاهي السعادة تبادر بالقدوم من جديد؛ تشرق الشمس وتتسلل أشعتها من نافذة حسناء في يوم جديد وقد بدأت الزهور المزروعة في الشرفة تتفتح لتستقبل الربيع فيأتي النسيم بهواء مطعم برائحة الياسمين والحبق؛ جالبا معه موعدا مع القدر لتفاجئها الدنيا بالبشائر في أحد الصباحات، حينما شعرت بالدوار وصرحت لزوجها بأنها ليست على ما يرام، فاصطحبها إلى الطبيب لتفاجئ بأول حمل لها بعد أن تجاوزت الأربعين، وبعد أن يأست من محاولات الإنجاب البائسة فتوقفت عن الرجاء إلى الأبد..

تسعة أشهر مرت وحل موعد المخاض ليجئ إلى الحياة إنسان جديد كانت تنتظره منذ سنوات، وابتسامة من زوجها حاملا لها بين يديه هدية تقدير، حين فتحتها وجدت عقدا فريدا يشبه ذلك العقد الضائع ....

بوشية

لم تتمالك روهان أعصابها أمام منظر زوجها خالد وهو يخونها على فراشها مع امرأة أخرى.. ويالا الهول إنها سحر .. صديقة العمر عارية تماماً و تفعل ما خجلت أن تفعله مع زوجها طيلة خمسة عشر عاماً من الزواج و الحب ...

كانت صدمة العمر، وطعنة قاسية ،وضربة موجعة من الزوج والصديقة..
المشهد يتكرر مراراً أمام عينيها ..وهي تكذبهما..مستحيل، مستحيل ..
تحدث نفسها بكلمة واحدة..

أختفت روهان عن الأنظار.. ولم تعد لمنزلها، والجميع يبحث عنها على مدار ثلاثة أيام متتالية.. وهاتفها المتنقل لا يكف عن الرنين ..
أنه خالد ..
خالد يعيش حالة من القلق والتساؤل على زوجته ،، لا يعرف أين تكون ولماذا ذهبت ولا يعرف أنها شاهدته مستمتعاً كما لم تشاهده من قبل ..
وكلما شاهدت إسمه على شاشة هاتفها انفجرت في البكاء أكثر والنحيب ، والسب لخالد واليوم الذي تعرفت فيه على خالد وعائلة خالد وأم خالد ..
وتمنت لو أنها قد ماتت قبل أن تشاهد ما شاهدته..
وتتصل بها سحر وتبحث عنها في كل مكان دون فائدة .. و تزداد حدة الغضب في نفس روهان وتقول لنفسها.. ألهذه الدرجة يستخفون بي.. الخائنة الحقيرة ماذا تريد مني ؟
كان الزمان شتوياً والأجواء باردة، وكانت روهان تعيش مغتربة حينما جاءت من أربيل إلى الرياض لتعمل في التمريض بعدما مات جميع ذويها في كردستان وقت أن أبادهم صدام حسين في ثمانينيات القرن البائد بالغازات السامة ..
كانت في أوج شبابها، وجمالها ..فقدت كل شيئ أخوتها وذويها بلا اقتراف أية ذنوب ولم تمت كما ماتوا.. فقد أنقذتها العناية الإلهية.
وكثيراً ما يسافر بها شرود الذهن إلى تلك اللحظة البعيدة والمدفونة في أغوار وجدانها حينما أفاقت لتجد نفسها تحت أجهزة التنفس الصناعي وفي عروق يديها أنابيب مثبتة لضخ السوائل لجسدها، وعلى أصابع أقدامها أجهزة لتتبع

obeikan.com

حالة القلب..
أفاقت بعد أن كانت نائمة ولا تذكر حلم الليلة البائدة ..كانت أول حركة عندما فتحت جفنيها لتكشف عن عينين واسعتين بلون الشجر مؤطرة بأهداب سوداء، لتجد سيدة في منتصف العمر تجلس قبالتها مبتسمة و تقول لها بلهجة مصرية (حمد الله عالسلامة ، الحمد لله ربنا كتبلك عمر جديد وكتبلنا أننا نشوف عنيكي الحلوة دي)
لم ترد روهان ولكنها تجولت بعينيها لتستكشف المكان وتتسائل في نفسها عن سر استلقائها على هذا السرير ذو الملائات البيضاء وعن كم الأجهزة المثبتة في يديها وقدميها وأنفها، بدأت بالتكلم .. أين أنا ؟ أين شادان وهيمن ؟ أين أمي؟ لم تترك فرداً في عائلتها لم تتسائل عنه..كانت لحظة موجعة...
ردت عليها السيدة المصرية ..
(استريحي ومتتكلميش كتير عشان أنتي تعبانة شوية وبعدين أحكيلك على كل حاجة)
قاطعتها روهان ..(ليش ما يسألون عني ، وين راحو)
دخلت طفلة صغيرة الغرفة التصقت بالسيدة المصرية ونظرت إلى روهان نظرة بريئة وحزينة .. فقد كانت تعلم الصغيرة أن روهان مسكينة كل من حولها قد مات حتى جيرانها وكل أصدقائها ولكنها لم ترد التكلم في حضرة روهان حتى لا تجرح مشاعرها وتصدمها .
سألت روهان السيدة (منو انتي ؟ منو هاي البنية؟)

***

عند الطبيب النفسي...
بأنفاس لاهثة متقطعة.... لا أستطيع النوم ليالي طويلة .. أتذكر فيها أحضان خالد.. وفرحة العمر .. وكيف نسيت ما كان مع خالد ..حبيبي الذي أحياني بعد موت وبعد تخبط في الحياة وطول انتظار ..هكذا هنت عليه فخانني مع أقرب الناس إلى قلبي سحر ..
وطفرت دموع أخرى من عينيها ..
سحر كانت كالملاك الصغير تحسبها فراشة في انطلاقتها وضحكها تملأ الحياة

obeikan.com

بالبهجة والحركة .. تترك أثراً في المكان ووجودها له حضور مميز ..كانت تغني لي دائماً بصوت دافئ أغنيات فيروز و تقول لي (أنا لحبيبي و حبيبي إلي ..يا عصفورة بيضا لا بأة تسألي .. لا يعتب حدا ولا يزعل حدا..حبيبي نده لي قالي الشتا راح .. رجعت اليمامة و زهر التفاح ....)

كانت سمراء قصيرة نحيلة إلى حد ما ليس بها شيئاً مميزا في ملامحها غير أن لها كاريزما غريبة تأثر بها كل من حولها ...خاصةً عندما كانت تتناول الجيتار وتبدأ في الغناء..

علمتني رقصة السالسا التي طالما عشقت موسيقاها .. كانت عاشقة ومقبلة على الحياة خفيفة الظل، تشرب الفودكا والشامبين .. و تدخن الغليون كالرجال ترتدي الجينز المتهرئ و تترك شعرها المتجعد الخشن أشعثاً رث الهيئة وعلى كتفها وشم لاسم رجل يدعى (كريم) حبيبها السابق!

تعرفت عليها في أحد الرحلات على متن الطائرة. أذكر أنني كنت في رحلة مع الأصدقاء الذين كنت أعرفهم في أنقرة حينما قابلتها لأول مرة .. كنت أبحث عن الحب والأمان المادي والمعنوي ولكني لم أجده، حتى الرجال الذين توسمت فيهم الرجولة كان هدفهم حسيا فقط ما كان يثير كرهي واشمئزازي وسرعان ما كنت أختفي من حياة أي رجل تبدر منه تلك البادرة خاصةً أنني لم أشعر بأي مشاعر تجاه أياً منهم...

كانت سحر بمثابة الأخت التي أهداني إياها القدر عوضاً عن أختي الصغيرة شادان التي طالما تذكرت ملامحها الملائكية ، فهل كانت بالفعل ملائكية أم لأنها رحلت أصبحت أذكرها كملاك؟

تعلمت من سحر الحياة والإعتماد على الذات .. سكنت معها في شقة واحدة في بيروت حينما عملت معها في الضيافة الجوية .. تعلمت كيف أصنع المناقيش بالزعتر وأصنع التبولة والمجدرة باحتراف وجعلتني أتناول اليخنة واللبنة رغماً عني وأدخن الأرجيلة بالليمون دون أن أسعل من الدخان..

أما أنا فقد كنت أعلمها اللغة الكردية وأحكي لها عن طفولتي في أربيل تلك البقعة التي خلقتها الطبيعة لتشدو بنشيد الحب الأبدي بين أحضان السهول والجبال، عند شلال أربيل المنهمر بلا نهاية ، وجدتي التي كانت لا تزال ترتدي

(البوشية) أو البرقع بلغة الأكراد.. تصطحبني معها في مطلع كل صباح لنعبر الجسر الطويل في نهاية شارعنا ذهابا وإيابا من أجل الذهاب إلى السوق القديمة لنشتري الخبز والحليب الطازج وبعض الأطعمة والخضروات التي تجود بها البساتين هناك..فقط كنت أقص على سحر تلك القصص لأستعيد شريط ذكرياتي البعيدة الراسخة في ذاتي عندما كنت طفلة صغيرة ألهو في بيت جدي في (بستانة) القرية الجميلة المحاطة بأشجار السبندار التي كانت تبعد عن أربيل من جهة الشمال وتمتد بعض الهضاب والتلال بمحاذاة القرية وكنت أنتظر بفارغ الصبر عطلة نهاية الأسبوع للخروج مع جدي حتى يمرق بنا راكبين عربته عبر طريق أربيل لأمتع عيني بمشاهدة تلك التلال البعيدة..

حكيت لها عن موت جدتي و بكائي حتى الثمالة، عن ميراث جدتي الذي أستوليت عليه وهو (البوشية)الرمز الذي طالما أعتزت به فكان يعني لي الكثير ..

ماتت جدتي في البداية و مات الجميع بعد ذلك.. وفقدت الصديقة الوحيدة والحبيب..

بداخلي تختلط المشاعر ما بين الغل والرغبة في الانتقام، و ما بين الإحساس بالضعف وقلة الحيلة والوحدة والإغتراب والإبتعاد عن الوطن..

لم يعد لي أصدقاء ، انفض الجميع من حولي ..حتى لغتي لم أعد أحدث بها غير نفسي

لساني أصبح مصرياً بعد كل تلك السنوات مع خالد ..

أخذتني تلك السيدة المصرية إلى منزلها حيث مكان لا أعرفه ، عالم غريب ومكان جديد .. بدأنا التعارف .. أحببتها .. أحببت طفلتها الصغيرة .. تحدثنا كثيرا عن كل شيئ وأي شيئ .. عشت معها ومع عائلتها الصغيرة..كان لها إبن مسافر يعمل في السعودية وهي ناشطة في حقوق الإنسان .. تذكرت أنني لم أسألها أبداً كيف لاقتني وكيف وجدت نفسي بينهم ..

كانت الحياة في بيتها مستقرة, كنت أشعر بالترابط وبالجو المتماسك وتقديس مكانة الأسرة, كم أحببت هذه الأجواء, رائحة الطعام الشهية التي كانت تنبعث دائماً من مطبخها.. اجتماع الأسرة على المائدة ودفئ المنزل والحب..

لم يملّني أحد منهم ولم أشعر في أي يوم من الأيام بأنني عبئاً ثقيلا حل عليهم, بل كان العكس هو الصحيح ، فقد كانت المعاملة كمعاملة أبنائها لا تميز بيننا, وبرغم ذلك كنت أشعر أنا بالإغتراب و بأنني لست منهم وكان هذا يمثل حاجزاً نفسيا بيني وبينهم ..

مرت الأيام .. وتعرفت على نجلها..وساعدني في الحصول على فرصة عمل في إحدى المستشفيات كممرضة في الرياض..

سافرت،.وغادرت أسرتي الثانية للمرة الثانية.. وزاد اغترابي اغتراباً.. ودخلت إلى مجتمع منغلق على ذاته.. لم أقنع بتقاليد هذا البلد في أحيان كثيرة..

وكان خالد هو من يتولى أمري و يسأل عني .. خالد إبن تلك السيدة..

كنت بمفردي و مفروضاً علي ارتداء برقع أسود فوق وجهي طيلة النهار .. تذكرت (البوشية) التي كانت ترتديها جدتي إلا أنني في قرارة نفسي كنت أشفق على فتنتي من الذبول تحت أنقاض الحجاب..

مللت المحظورات , واشتهيت الممنوعات ..

نشأت بيني و بين خالد بوادر إعجاب.. اهتمام متبادل.. لكني فضلت الثبات وعدم الإنخراط في علاقة .. كنت قاسية جداً مع نفسي ولست أدري لماذا ابتعد كلما حاول الإقتراب مني .. وكلما ابتعد هو عني اجتذبته لأهرب منه فلا أطيق غيابه كما لم أطق اقترابه.. لم تدم حياتي في الرياض كثيراً فسرعان ما مللت الحياة تحت الميكروسكوب و جسدي تحت تلك العباءة الفضفاضة السوداء، وبرغم تلك الحياة والماضي الذي نشأت عليه في أربيل إلا انني لم أرث التحفظ واكتسبت فكراً ليبرالياً متحرراً للغاية ، لم أعشق رجلاً غير خالد..الذي افترقت عنه في ذلك الوقت لأنني لا أريد أن أعيش في الرياض..

قررنا أن نفترق .. وكلاً مضى في رحلة حياته ناسياً أو متناسياً الآخر ..إلا أنني كنت أذكره كل حين و يعصف بي الحنين إلى وجوده وإلى تلك الهالة التي تشع منه عند حضوره.

وكنت قد عرفت سحر ..

استقرت أحوالي في بيروت بعد ذلك .. هناك عشت بلا قيود.. إلا أن انكسار القيد لم يعد يغريني نحو الإنفلات واشتهاء الممنوعات.. حاولت أن أهتم بصحتي.. وواظبت على حصص تعلم السالسا والأيروبكس..كان قوامي ممشوقاً واستدارته مثيرة و مدهشة . عشقت شكلي ..

***

ذهب النوم من عيني حيث لا عودة .. و مضت السنوات وأنا لازلت مضيفة جوية..لم أتزوج بعد..كنت أتألم عندما أتذكر أمي و شقيقتي وجدتي والعائلة.. كنت أشعر بغصة وآلام الفراق عندما ينفض الجميع من حولي أيام الأعياد والمناسبات حيث يقضونها في بيوتهم وسط العائلة ... وأنا بدون عائلة ..حتى أنني لا أملك صوراً لأحبتي .. فقط أحتفظ بصورهم في مخيلتي واستدعيها عندما يستبد بي الشوق نحوهم..

كانت معظم حياتي فوق السحب على متن الطائرات ..تقريباً رأيت كل العواصم وشاهدت كل الملامح ولم تنسيني الملامح حضور خالد الآسر ، أو نظرته الثاقبة ولا حتى أحضانه الدافئة العميقة جداً.

ويعود خالد..

أثناء شرودي في ماضيه أراه أمامي .. هل هذه مصادفة..وأية مصادفة تلك بعد كل هذا الفراق .. لم أعد أعرف له عنوان..استحال علي أن أعرف مكانه .. ولكنه أمامي بكل شموخه أم أحدا يشبهه.. رآني كما رأيته وأصبحت عينيه شاخصتين نحوي لم يصدق ناظريه كما حدث معي تماماً..

وعدنا لاجترار الذكريات من جديد وتحققت أمنية أن أشاهده ولو لمرة واحدة و تشاء الأقدار أن أراه فوق ضباب لندن في إحدى الرحلات ..

قال لي أنه لم يتزوج..وقال لي أنه عاد إلى مصر , و افتتح مشروعاً تجارياً ناجحاً.. تغيرت أحواله.. و قال لي أنني أصبحت فاتنة..

قررنا العودة سويا إلى مصر .. قررنا سريعا الزواج ..

تركت كل شيئ لأجله.. عملي ونجاحي وصداقاتي و بيروت التي أحببت الحياة فيها تاريخي الجديد الذي صنعته.. عدت لعدم الإستقرار من جديد.. التشتت

obeikan.com

بين المدن و بين هويتي فقط لأجل رجل أنا ضعيفة أمامه..
رجل سرق قلبي وعمري.. رجل غفر لي كل نزوقي وتقلب أحوالي..
رجل أحتواني، احتضني هو وأهله فعوضني عن فقدان عائلتي...
ولأنه لم يكن لي أهل ..كانت سحر هي عالمي وأختي وأمي وكل الناس .. تعرف كل أسراري.. ومعظم نزواتي إلا القليل..لم تعارض عودتي لخالد فقد كانت ترى أن الله وضعه في طريقي لأنه نصيبي وإلا فما معنى أن أقابله على الطائرة بعد السنوات الطويلة ولم يكن قد تزوج بعد.. نصحتني بالإستمرار وقالت لي بعد أن نكبر بلا أنيس أو رفيق سينطفئ بريق الشباب وسنصبح وحيدات والأفضل أن تتزوج الفتاة و تنجب وتبني أسرة وعائلة..
نصيحتها لمست أوجاعي فوجدت نفسي مأخوذة بداخل طيف الذكرى .. صوت أمي صخب منزلنا في كردستان.. انتظار عودة أبي ورحلة طريق أربيل بين السهول والمزارع..
أخوتي .. الجيران .. جدتي ذات البوشية..مذاق الكعك الذي كانت تعده أمي..
تذكرت أم خالد وعائلتها والأيام التي عشتها معهم بعد موت عائلتي .. فكان قراري أنني ساتزوج خالد بلا أي تردد...

كانت سعادتي لا توصف يوم زفافي..كمثل الفتيات الأخريات .. اشترى لي فستان الزفاف.. وكان خالد كالفارس المغوار.. أنيق وسيم..لم أتمالك نفسي نحوه كنت أفكر في شيئ واحد فقط.. متى ينتهى حفل الزفاف وأجدني بين يديه.. راقصني على مقطوعة زامفير الخالدة بالفلوت فذابت وتلاشت معه الكينونة من شدة صدق تلك المشاعر..
كنا برغم الحب مختلفين..الطباع مختلفة..يثور على أتفه الأسباب.. بعد الزواج تغير..
ربما نسينا أننا عشقنا.. أو تناسينا أننا أوفينا بعهدنا سنوات حتى جمعنا القدر فوق السحاب.. لم يشفع لنا الحب .. علا سقف التراكمات مكوناً جبالا من الجليد بيننا ..
ولا زلت أحب خالد..

ولكنه خانني مع سحر.. سقط في بئر الخطيئة ...
و قررت أن أنتقم ..قررت أن أقتلها.. لأنها خدعتني ..ولأنني وثقت بها ..
أشتريت السم.. لأضعه لها في الطعام الذي تحبه.. سأدعوها للوليمة التي تحبها
سأطهو لها المجدرة وأضع السم .. سأتخلص منها..
أليس من حقي أن أنتقم؟؟
لن أقتل خالد.. لأنني لازلت أحبه.. أما هي فشيطانة تستحق الموت..
ما الذي يميزها عني ؟ أنا أجمل منها ..جسدي وشعري وعيناي التي لا مثيل لها
وما الذي أعجب خالد بها .. هل أسعدته أكثر مني؟؟

وانتهت الجلسة عند الطبيب النفسي..

كتب روشتته لروهان .. أقراص مضادة للإكتئاب ومهدئات.. ونصحها بالإبتعاد قليلا عن خالد وتقليص علاقتها بسحر بالتدريج... خرجت روهان وهي تبكي ولكنها تشعر بأنها في خفة الطائر.. برغم أن القلب يقطر دماً ولكنها أزاحت ثقلاً كان يجثم على أنفاسها ..

اشترت روهان الدواء.. ومضت وهي لا تدري عما يأتي به الغد....

خالد لازال قلقا عليها ... سحر تبكي غياب روهان وتحتضن خالد فيغيبان في قبلة طويلة ..ويقرران الهدوء حتى يتسنى لهما التفكير بتأني ..

بعد خروج روهان من الصيدلية بثوان قليلة يتوقف خالد بسيارته أمام نفس الصيدلية دون أن ينتبه لها أو تنتبه له..
يشتري خالد أقراصاً لسحر، ومن ثم ينصرف معها الى المنزل ليكملا ليلتهما الحميمية.. وفي الصباح يستأنفا رحلة البحث عن روهان..

obeikan.com

سيجيئ يوماً ترتدين فيه ثوب الزفاف

obeikan.com

كنت صامته..أنصت لوجيب القلب..ونحيب الروح..
أرقب حفيف الأجنحة... وسماوات الطير النازحة..
أحمل في داخلي وطن من الأشجان..ويم من الأحزان..
يقتلني هم الفراق.....وانتهاء اللقاء....
ظللت صامتة طيلة النهار... فالسكوت أحيانا أوفى من الكلام....
وظل هو يتكلم ..ويثرثر ..كأنما يقاتل شبح الصمت الرهيب قتال المستميت....

ما أجمل هذا الحلم يا صغيرتي..
أنتِ بين هاتين اليدين ,بعد أن كنتُ أحلم بكِ..
أنتِ بشعركِ وعينيك..ووجهكِ وجسدكِ..
تجلسين إلى يميني..
وإلي تنظرين..كم تحبينني يا حبيبتي..
ما أغرب هذا الطقس وأنا إلى جواركِ يا أميرتي...
كل الأمنيات الحالمة..التي شاهدتها في الأفلام والأحلام..وكل اللحظات الأسطورية..التي قرأت عنها في الروايات..
كلها تجتمع اليوم في واقع..أصدق من غابات الشجر تلك العملاقة المحيطة بنا..
ما أهدأ تلك السعادة التي أحياها معكِ..وما أرق من تلك الساعة الصامتة بيننا..لا صوت إلا دق قطرات المطر على زجاج السيارة التي تحتوينا..
وما أصدق صفير الريح... وماذا يعني حفيف الأشجار المتشابكة من حولنا؟
أصوات غامضة للصمت الرهيب تحمل انذاراً ما..
تلك الجنة التي تضمنا بأوراقها وزهورها، وذلك البحر الغاضب أمامنا تتلاطم أمواجه عاليا على الصخور..
وأنتِ.. نعم ..أنتِ الأمان معي ولستِ أمنية..
والريح مازالت تعوي حولنا .. والطقس في الخارج متجمد..
شتاء حزين يودع لقاءاتنا..
مابك يا طفلتي؟؟ لماذا تسكتين؟؟
مابكِ تسرحين خلف السماء الملبدة بالغيوم ؟...

أنظري الى دفئ مشاعرنا ماذا فعل؟؟
تكون الضباب على زجاج السيارة..ولا أحد يرانا..
مابي أنا حائر لا أجد في جعبة كلماتي حروفا أناجيك بها؟
وقفت طويلا لست أدري بماذا أناديك..فأنتِ فوق الأسماء والصفات...وفوق الألقاب..
بعد كل هذا الحنين..معك أحسست بأن حياة الأرض انتهت.
وكأني ألتقي بك حورية في الفردوس.. فالحياة هناك قطعا مختلفة...
حتى أنني عاجز مخنوق..مكتوف..لست قادرا على قول اختلاجاتي.. وما يتوارد بداخلي عنكِ,إليكِ..
وكم عاجز أنا على أن أسيطر على مشاعري الهوجاء..
أصابني الجنون..وأنتِ السبب..
مشاعري كالعصافير السجينة عندما يُطلق سراحها..
وأنا مازلت كالبركان الثائر أضطرب بشدة في داخلي حتى كأنني أكاد أنفجر وأوزع حممٌ وجمرٌ في كل اتجاه..
ولا أقدر على لملمة أشلائي..ولا يمكنني ترتيب مشاعري المتبعثرة من حولك...
وأنتِ أنتِ بين أصابعي.. أتأملكِ.. وعيناك التصقت بعيناي..وأحس بشيئ منك يتسلل إلى داخلي...
وأحاول أن أملأ النظر منك فبعد قليل سترحلين...
وأحاول أن أشربكِ ..
لا أريدك أماني..يا غاليتي.. أحبك واقعاً ملموساً..
فأنت الوحيدة أجمل من أطيافكِ وخيالك..
أنت أروع حقيقة وأصدق واقع...
حبيبتي الصغيرة..يديك باردة..حبيبتي أنتِ تشعرين بالبرد وتقولين لأن قلبك دافئ..
أصادقة أنت أم تطمئنين خوفي عليكِ..
ماهو شكل حبك لي.. لا تقولين شيئا..فلن تنجدك الكلمات..مثلي ..ولن تعرفين كلمات أخرى كما لن ندرك ما وراء البحر والأفق..

obeikan.com

اقتربي مني والتصقي بجسدي فلا أعرف متى سنلتقي ثانيةً..
قولي كل ما تقدرين أن تقوليه الليلة..
أحلمي معي.. أبكي .. أبكي..قدر ما تحسين البكاء..
أبكي لربما تستريحين....
بعد قليل..وأنت مازلت معي..في هذه القوقعة الدافئة..
بعد قليل ستذهبين.. ستبتعدين وترحلين..ستمضين في طريقك..وحدك..
بدوني...
وبعد قليل سأستحضر وجهك..وتقاطيع ملامحك..
سأذكر شكل جبينك..وأحاول لمس شعرك..وأتابع إلى أين تصل أهداب عينيكِ..
وغداً وبعد غد ...ستصبحين ذكرى...
وأسأل نفسي..لماذا أجدها على كل شيئ؟
في قدح القهوة..في جريدة الصباح..في خطوط يدي لماذا أراها؟؟
سأجدك في قارورة العطر..تستحمين..
وسأخاف من العطش لأن ملامحك تنهمر مع الماء الذي أشربه...
أنتِ تتدفقين من الصنبور!!!
وأنا كأني أغسل وجهي بوجهك...
أنت الآن تشعين دفئاً بداخل السيارة...
فماذا بعد أن تتركينني وحيد..
من التي ستملأ الكون من حولي ضحكاً وأملاً وصخباً وحركة وكلمات وغناء ...
أين هذا الخارق الخرافي الذي قرأتي عنه في حكايات الأطفال..
أين هو ليعيد دورة الزمان..وليعيد الماضي.. الذي أمضيناه معاً..
من الذي قيدنا بأصفاد الوقت؟؟
هذا الكابوس الفظيع يجثم على صدري يخنقني..
ليته يكف عن الحركة..
لنبقى أبداً هنا في هذا الحب لا نشيب ولا نموت...
كم أحبكِ..
ليتك لا تذهبين..

لست أصدق أن لليوم نهاية وأن لأجمل لحظة,, موعد لتموت فيه ككل الأشياء..
لا تسحبين يدكِ من بين يدي.. وكفّي عن النظر إلى ساعتك..
لا تقولين أوشكت الشمس على الرحيل والغرق في المجهول ...
فللشمس مواسم مقبلة لامحال..
وأنت موعدك كموعد السندريلا...
سأفتقد عطرك النضر ..ونظرة عينيك..
لن أنساك أبدا ما حييت..وسأراكِ بقلبي في كل دقيقة وهي تمر...
وتذكري أن لنا موعدا...
لست أدري متى؟؟
ولكني سأعود يوما ما لأجدك قد كبرت وصرتي ليدي جميلة..
مسافر يا صغيرتي ولكني مجبور...
يا مظلتي وظلي سأعود..
اصبري....
سأعود إليك هنا في غابتنا لنلتقي في مقهانا الجميل نحتسي أقداح القهوة سوياً..
و أشعل السيجار وأنت تضحكين..
و نستأنف ثرثرتنا عن الأمنيات
لنكون إلى بعضنا حلالًا مباركاً أبدًا...
ولننجب البنين والبنات...
اصبري....
سيجيئ يوم ترتدين فيه ثوب الزفاف...
وتحملين بين يديك باقات الورود....
اصبري....
إن الله يحب الصابرين....

***

انتهت كلماته وبقى رنينها يطن في أذني ..
وفي صمتى إذاء ما قاله لي عجزت عن الرد..
فقط أصداء صوته تتلاطم في رأسي
وتدور بي دوائر متداخلة ملتفه متعرجة متشابكة لا نهائية..
يمضي الوقت... لا يكف... هكذا أفكر دون أن أبوح له بقلقي
يفنى الزمن آخذا معه من رصيد أيامنا في الحياة
ومن رصيد سويعات لقائاتنا
وليس بإمكاني سوى أن أمعن النظر وأغرق في عمق عينيه
وأدقق في تفاصيل أنامله وهالته التي تحتويني
فبعد قليل لن يكون موجودا معي
وفي خضم أفكاري لازالت تهرول عقارب الساعة وتتناقص الدقائق الباقية...
حقاً إنها عقارب الساعات
تقضي على الوجود والزمان بسمها
ماراثون العدم والرحيل..
لا فرق إذن بين الثواني والدقائق والساعات .. كلها أجزاء مقتطعة من وهم يدعى (الوقت)
لاحظ انحدار دمعتي فامتدت أصابعه نحو خدي تلتقط الدموع
حينها نطق لساني :
سأفتقدك حتماً.. لكني لن أفقد حبك أبداً.. يا أحلى الأقدار,,
ترك يدي وكأنه ينتزع قطعة من كبدي.. وافترقنا بعد التحام..
وقفت أرقب سيره وهو يمضي حتى ذاب في المدى بين الغصون الباسقة وتلاشت صورته فمضيت نحو طريقي حاملة في صدري غصات الفراق مختلطة بوعود وأحلام وأمنيات كثيرة ...

مرت السنوات متعاقبة بعد ذلك
ولازلت انتظر,, دون جدوى وأرتقب،،
ولكن هيهات....

obeikan.com

لم تأت منه أية رسائل.. وصار ككل شيئ، إلى زوال ..
ورويدا تسلل الشيب الى رأسي، والقنوط الى روحي
وهرمت....ولم يعد.

obeikan.com

أشياء لا تموت

obeikan.com

استيقظت سلمى من نومها العميق على صراخ وليدها لتجد نفسها مجددا تعيش واقعا مريرا... اتجهت مسرعة نحو مهد الصغير تحمله وتهدهده متبينة أسباب بكاءه في محاولات عدة لتهدئته..
بينما يعكس ضوء المصباح الجانبي الباهت خيالهما المترنح فوق الستار وأعلى الجدار..
وبعد أن هدأ الطفل وبدأت أنفاسه في التصاعد وضعته أمه في مهده وألقت عليه نظرتها الأخيرة وهمت بالعودة إلى فراشها المهجور لكن الوسن أبى إلا أن يغيب عن جفنيها...

نظرت سلمى نحو الفراش بسأم والوسائد ملقاة حوله بلا ترتيب ..
فلم ترغب بالإقتراب منه واختارت أن تجلس على مقعد قريبا من الشرفة تستمع إلى الموسيقى الخفيفة المنبعثة من المذياع وهي لا تنوي فعل أي شيئ سوى التنقل بناظريها مابين خارج الشرفة وداخل المكان ..

غرقت سلمى في التفاصيل...غابت بين انحناءات الغصون المنقوشة فوق الأخشاب.. وانخرطت في ملاحظة كم هي دقيقة زخرفة السجاد... وخلسة تدخل في حبات البلور المتدلية من أعلى الثريات ,, وتترقب الكرات الزجاجية الوهمية كما كانت تلاحق فقاقيع الصابون وهي طفلة في أول عهد الطفولة وعلى يقين بأنها ستمسك بفقاقيع الصابون في يوم ما....
استقرت عينيها على هذا الشمعدان سداسي الشمعات...
و فجأة باغتتها الذكريات وهاجمتها كأنها الجيوش يوم الزحف..
وتوالت الذكريات..وعاد الزمان في مخيلتها إلى الوراء..
سنوات بل سنوات وسنوات....

هاهي سلمى بشعرها الفاحم الطويل..وقامتها الفارعة وجسدها الريان..
ترتدي جينزا أزرقا ملتصقا بجسدها وسترة حمراء قصيرة من الجلد وحول رقبتها تلتف كوفية بألوان الطيف وعلى عينيها النجلاوتين تضع عوينات سوداء

obeikan.com

أما العطر فيملأ أروقة الأماكن اللتي تمر بها ولا ينتهي بسهولة....
كانت تركض نحو سيارتها مسرعة تقرع الطريق قرعاً بكعبيها العاليين صاخبي الدقات....

المدينة هي الأسكندرية والطقس غائماً شتوياً ،والساعة تقترب من العاشرة صباحاً...
كانت في عامها الجامعي الأول وكان قلبها مفعما بالبراءة ..
اتفق الأصدقاء للقيام برحلة شتوية لمدينة شرم الشيخ....
أما سلمى فاعتصمت وقامت بالمظاهرات والإحتجاج ومقاطعة الطعام لكي تثني أهلها عن رفضهم مشاركتها أصدقائها القيام بالرحلة....
وأخيراً وافق والدها ...وغمرتها الفرحة وأخذت تقفز كالمجنونة فوق سريرها من شدة الفرحة....
وهنا تبدأ القصة...وتقفز إلى الذاكرة التفاصيل الحبيبة والقريبة .
سافرت المجموعة إلى شرم الشيخ وفي إحدى الأمسيات.....
تدخل سلمى المطعم لتشارك المجموعة تناول الغداء..فشاهدتها عيناه...تلك التي لا تنسى ولا يأفل سحر نظرتهما الأولى في الذاكرة مهما تباعدت الأيام....

حدثت نفسها :(ما هذه العينين يا حبيبي اللتي أمتلكتهما وما أجمل حاجبيك المعقودين حين شاهدتك لأول مرة..)
بهرته سلمى لحد الجنون فقام يجلسها مكانه...وقام معه جسد أسمر مفتول وشباب فج يكاد يتفجر رغما عنه ...

وعندما جلست ومازالت تتبعه بنظراتها قدم إليها نفسه...
مهاب مهندس انشائي.. حضرت الرحلة مع صديق لي...
أجابت وكأنها في حلم ..وكأنها تتعجب من ما يحدث على غير دراية بأسباب توترها وسعادتها...وأنا سلمى...

وبغير ترتيب مسبق...وجدت نفسها بمفردها تتناول الغداء مع مهاب...فلا تذكر كيف تركت الأصدقاء...ولكن الكلام لم ينقطع معه واستعذبت جلسته والتذود بالأنس في حضرته...

اختارت مقعدا مواجها لتلك الشرفة الزجاجية العملاقة المطلة على الشاطئ حيث الرياح تعبث بالبحر والأمواج تتلاحق كالأطفال حينما يتسابقون في الساحات المتسعة....

وجلس هو قبالتها يشاهد معها انحدار قرص الشمس نحو المجهول معلنة انتهاء يوم من الأيام ولعله أجمل يوم عاشت فيه سلمى ..

وتتلاشى الشمس تدريجيا وكأنها تذوب في الأفق تاركة خيوطا ذهبية كالسهام من نورها مخترقة السحاب ...وتخضبت الوجوه أثر ضوء الغروب الذهبي....

فوجه نظرته نحوها فأشاحت بوجهها في ناحية أخرى خجلا فقد كانت تتأمله خلسة ....

لم يجد مهاب كلمات لكي يبدأ بها حديثه مع سلمى ولكن الصمت الذي ران عليهما كان يخفي في طياته كلاما كثيرا فضحته العيون..

وتقول سلمى لنفسها حينما أهداها الوردة القرمزية اللتي كانت فوق طاولة الغداء لعلها حقيقة وليس خيالا....

إلى قبالتهما كان رجلا يرتدي حلة أنيقة جدا ويعزف أنغاما شجية تحرك الفؤاد وتفجر القلب.....

قال مهاب جملته الأولى في هذه الأجواء.....

أسعيدة أنت يا سلمى اليوم؟؟

قالت له الإجابة بابتسامة خجلة فقد أدركت مغزى السؤال...

هنا استجمع مهاب كل شجاعة الفرسان وأمسك بيدها ...

وهنا نسيت سلمى كل المحاذير وتركت يدها....

obeikan.com

انتهى المغيب..وخيم الظلام...
ورحل يوم بلا عودة...يوما في الذاكرة موجود ولكنه في الحقيقة مفقود...
ولم يتبق غير بصيص من ضوء الشمعة المتراقص على وتر أنفاسهما...

لا تذكر سلمى ماذا قالت... ولا ماذا قال...إنما تذكر بداية العهد الجديد, لون المغيب, النورس, أنغام المزمار, عطر الحبيب وبريق عينيه....هكذا دائما تأتينا الذكريات بالتفاصيل وتنسينا مادونها....
تذكرت الكلمات التي قالاها دون الجمل فاختلطت عليها الأمور
وبقت تذكر فقط كلام الأعين...

تذكرت الصمت الذي غرقا فيه...صوت أدوات المائدة وقرع الكؤوس... والألحان التي حفتهما..تذكرت تصفيقا لهذا العازف الحاذق...
تذكرت أول اختلاج عانته..أول خفقة مدوية في قلبها...
إنه حبها الأول ..الأبدي...مهاب..

عادت سلمى من الرحلة...تتراقص خطواتها...وتغني...كأنها كروان...عادت منتشية...تملي نفسها بالمنى...عادت لغرفتها..لألعابها ...للدمى...عادت تطعم أسماكها الصغيرة..
غرقت في خضم أحداث الرحلة السعيدة...حتى نامت أخيرا دافئة بين شعرها والدمى والوسادات...

***

بعد أربع سنوات تمت خطبتها على مهاب في أمسية راقية جمعت الأحباب والأصدقاء...
وتزوجها مهاب....حبيب القلب والعين....
وسطرا بداية جديدة في كتب الحب والسعادة... سعادة بلا منغصات...
سعادة لا تعرف طريقا للدموع ...ولا موطئا للشجن..
سلمى في ثوب الزفاف...يضمها مهاب إلى صدره ...يراقصها

والجميع يتمنى نهاية كهذه ....
مهاب يقبل سلمى على جبينها ويطبع أشواق السنون على تلك الشفتين العذبتين....
إلى أبد الأبدين ستبقى تلك اللثمة يا مهاب...سلمى تحدث نفسها..
ويخرج مهاب كالعادة إلى عمله مبتسما وهو يقول لها....سأفتقدك يا سلمى كأنني سأسافر سفرة طويلة..
كان الله في عوني وعونك إلى حين أن نلتقي مجدداً...

ولا تدري لماذا خفق قلبها اليوم خفقة مريبة؟؟؟

تأخر مهاب عن موعد عودته...
ولا يرد على هاتفه المتنقل.. ولم تشفع لها عنده رسائلها....
خرجت تبحث عنه بلا نتيجة...تمر الساعات تليها الساعات ولا خبر...وكلما مر الوقت ازدادت الحيرة وازداد لون الحياة قتامة..

حتى جائها اليقين....جماعة من أصدقاء مهاب يطرقون باب بيته ليلا ليحملوا لها خبر وفاته في حادث أثناء عمله...
كانت صرختها مدوية... وفاجعتها عظيمة...(فالمصائب لا تأتي فرادى)
أفاقت وحولها والدتها ووالدها وأخوتها وصديقتها المقربة متشحين بالسواد جميعا..فصرخت من جديد وصرخت وصرخت..حتى كأنها أفنت الصراخ ... وكأن أحزان العالم كلها نالت منها...وعلى حين غفلة هاجمتها المصائب بعد أن ظنت انها هانئة إلى أبد الآبدين...

رحل مهاب تاركا لها جنينه في أحشائها ....مستودعا لديها امتدادا له... مورثاً لها قلب صغير لتعلمه ما هو الحب...
وموقدا فتيل مصباح الحب لتضئ به أيامها ولتذكره كلما كبر الولد وارتسمت ملامح أبوه فوق وجهه...

obeikan.com

أمال..

obeikan.com

وعادت الذكريات.. نعم عادت إليها من جديد .. تطفو من الأعماق على السطح، فمع مرور السنوات .. ومع مرور الأوقات والزمن..
لا تزال آمال متعلقة بظلال الماضي...فلا يمكن أن تزول الذكريات...وإنما يمكن أن تنهمر الدموع كالمطر.. وينهار الصمود كأوراق الشجر..

وبرغم السفر وطول الزمان.. وابتعاد المكان ..فلم يزال وميض حبها الأول يضيئ بين الفينة والأخرى..
دخلت أمال بسيارتها الفارهة إلى ساحة المطار لاستقبال نجلها باسل العائد من سنوات الدراسة الطويلة في لندن..

آمال تحمل في قلبها الآمال بالنسبة إلى آخر عنقودها الذي صار طبيباً بعد شقيقتيه نجلاء المهندسة وشيماء الأستاذة في كلية الحقوق..

تغمره بالأحضان والأشواق واللهفة والآمال العظيمة وهو يقبل يديها ومن ثم يتجهان نحو السيارة فيضع حقائبه و يقطعان مشوار العودة إلى بيت عائلته التي تنتظره للإحتفال بعودته...

وفي السيارة ينظر باسل إلى أمه آمال العظيمة المحبة ..يتأمل شعرها الفضي, و تجاعيدها وارتخاء الجفون حول عينيها الزرقاوتين زرقة لون السماء في نهار الصيف..
وفي نفسه يسأل..هل هذه العجوز المكتنزة هي أمي ؟

وكأنما تسمعه فتقول له ..لا تنظر إليّ هكذا ولا تتعجب..فتلك هي نواميس الزمان يا بني ...
أعرف أنني لست أنا ..وأنني كبرت وصرت عجوزا ولكن آمالي فيك هي أجمل سنوات عمري و ثمرة شبابي فكن عند حسن ظني..
فيردف الطبيب قائلا لأمه.. غدا سأحقن تجاعيدك بالكولاجين وأشد جفونك

وأجبرك على صبغ شعرك هذا وشد جسدك ..
فتقول له.. يا بني لست أنا اليوم من تفعل هذا فقد ولى زماني وولت سنوات العنفوان، وقد حصلت على مرادي من الدنيا و هنئت وشربت من كل الكؤوس، ولا حاجة لي بجمال الجسد بعد الجمال الذي استشعره بداخلي...
وأنا في الستين من عمري حان الوقت لأن أحيا حياتي الجديدة، وأرى أحفادا بعد طول إنتظار؛ فأخواتك يا حبيبي مضربات عن الزواج ويؤلمني حالهن , وأنا آمالي فيك عظيمة وأتمنى من الغد أن تتزوج وتنجب لنا حفيدا صغيرا يملأ الحياة بهجة وسعادة ...
أمي..العروس موجودة!!!

تغمغم الأم فرحة وتتلعثم ثم تقول له الحمد لله أنك لست مضربا عن الزواج..
أخواتك عزفن عن الزواج بلا مبرر صريح مقنع ..
ثم تسكت قليلا وتتابع بالأسئلة الفورية متى ستعرفني عليها ؟
هل هي جميلة..ماذا تدرس ؟؟من هو والدها ؟؟ من أمها؟؟
كيف تعرفت عليها؟؟؟

يضحك باسل ضحكة طويلة وقوية كأنما يسمع نكتة ساخرة ويقول لها(شغل الحموات ابتدى يا ماما)
تعرفت عليها في لندن ..هي أيضا طبيبة أطفال وتعيش هناك مع أسرتها ولكنهم يزورون مصر كل فترة طويلة لزيارة أقاربهم ولتدعيم انتمائهم القوي لمصر التي يحبونها كثيرا..
والدها هو عادل الحفناوي طبيب قلب غني عن التعريف في مجتمع الأطباء في لندن ..
وسألها عن سر صمتها المفاجئ وعدم تعليقها وانطفاء حماسها وشعر لوهلة وكأنها معترضة من جانبها بغير سبب
فسألها لم لَم تردين عليّ؟

فردت سؤاله بسؤال... قلت لي مَن والدها؟؟
فأعاد على مِلئ السمع الدكتور عادل الحفنااوي ....

***

آمال أجيبيني بحق جمال عينيكي الفيروزية ماذا حدث بالأمس ؟
ماذا قال لكِ والدك ؟؟
هل هناك أخبار جيدة؟
أو بشرى سارة؟

ردي يا أمال أرجوك أتوسل إليك لا تسكتين فتشعلين غيظي وتوتري
لماذا تمتلئ آبار عينيك بالدموع ..لا أكاد أرى ملامحك تحت غيوم عينيك

عادل...
انتهت علاقتنا..سأتزوج إبن عمي ..
هذا قرار والدي..لقد فوجئت بأنني مخطوبة لإبن عمي منذ مولدي..
فقرك يا عادل حال بيننا..
والدي يحب الأغنياء وأصحاب النفوذ مثله...
عادل..
عادل..
انتقل الصمت والسكون إلى عادل..ولم يجيب ندائها..
وكان آخر ما شاهدته عينيه الواسعتين تقاوم فيض الدموع وقد احمرت
وصمته الرهيب..الرهيب ...ثم الرهيب..

وداعاً يا عادل..
وداعاً يا آمالي و يا أمنياتي أتمنى لكي السعادة ثم أعطاها ظهره و ظل يبتعد
وهي تتابعه بنظرها إلى أن اختفى بعيدا..ومن يومها رحل بلا عودة
وبلا مجيئ وبلا سؤال ولا اتصال...

obeikan.com

وانتهى كل شيئ...

***

أفاقت من شرودها في الماضي وباسل يسألها..ماذا قلت يا أمي؟؟
فردت بتحفظ..ربك يقدم ما فيه الخير..

كيف ترفض هذه الزيجة كيف توقف هذا الكابوس ..كيف تمنع حب ابنها وتكرر مأساتها مع فلذة كبدها؟؟
وكيف تذيق أبنها لوعة الفراق والعذاب وتسقيه من كأسها المر؟؟

***

كانت آمال عادل الحفناوي قد دعيت على حفل استقبال حبيبها الدكتور باسل شابة جميلة تشع شبابا وحيوية سمراء تمتلك عيون والدها النجلاوتين و قسماته المليحة وشعره الحريري..

طفرت الدموع رغما عن إرادة الأم حين شاهدتها فتذكرت حبها الشاب عادل فمازال شابا في مخيلتها برغم فراقهم منذ ستة وثلاثين عاماً..
مازالت تذكره وهو إبن السابعة والعشرين وكأنما الزمان لم يعبث يوما به كما عبث بها..
فالزمان يعبث بوجوهنا وأقدارنا ولكنه لا يغير ماضينا الذي كان..

***

وسرعان ما غيرت الأم رأيها وفي قرارة نفسها رضخت لضعفها أمام حبها لإبنها وأشفقت عليه من المعاناة التي سيعانيها من عذاب الحب والذكريات على مر السنوات ..

وفي صالون الضيوف جلس باسل إلى جانب أمه المرتجفة أناملها خشية لقاء الحلم القديم وخشية الرفض، وفي حضرة والده الذي حضر ولم يجرب يوما

خفقة قلب مدوية أو حتى صامتة..
وبين إرتباكها وانتظارها اللقاء قرت عينها على الصورة القديمة المعلقة في إطار ذهبي وفيها عادل يوم عرسه يافعاً وإلى جانبه عروسه الجميلة..

رجل مسن فقد نصف شعره وما تبقى منه بلون الجليد، وجهه مليئ بخطوط الزمن وذبلت عينيه الجميلتين تحت زجاج نظارته السميكة ...
أهلاً وسهلاً ..تشرفنا تفضلوا..حكت لي آمال كثيراً عنكم وعن باسل ولنا عظيم الشرف.
طالت السهرة وتشعب الحديث وتنوع الحوار وعادل لا يرى العيون الزرقاء ربما لضعف نظره وربما لضعف سمعه فما عاد يسمع جيدا إلا بسماعة فلم يميز صوتها المميز الرخيم...

وانتهت الأمسية وخرج عادل ليوصل الضيوف ..وفقط عند الباب عندما مد يده ليصافحها شم عطرها الذي طالما أحبه، وشاهد قلادته لازالت تتدلى من رقبتها التي أهداها لها منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة..
نسى عادل كفه في كفها وتجمد واقفا ولم ينتبه إلا حينما سحبت يدها ..
عرفها ..تذكرها أخيراً...هذه كانت حبيبته الأولى ..معها تعلم هجاء الحب وعلى شفتيها جرب أول قبلة ..وكانت صاحبة أجمل عينين..
زهدته آمال فما عاد هذا العجوز حبيبها فكما نسيته منذ أكثر من ست وثلاثون عاماً تستطيع أن تمضي الباقي من عمرها في النسيان..

أما هو فلم تطرف له عين طوال الأسبوع مندهشاً متعجباً من فرط سمنتها وتجاعيدها وشيبها..فمن يراها اليوم يندهش حقاً حينما يعلم أنها كانت سفيرة للفتنة والجمال حتى انتخبت ملكة جمال العيون في يوم من الأيام...
لم تعد هذه هي الحسناء التي سهر الليالي والسنوات عاشقا لها ..هذه التي تخطى معها المسموح في خيالاته قرب الأربعين عاما..لم تعد انثاه المثيرة..
تغيرت الصورة وتشوهت في مخيلته ..

وللحظة سأل نفسه هل أحبها أم أحب صورتها؟..

زهدها كما زهدته فور لقاءه وما عاد يذكرها كما عادت لا تذكره ..وإنما فقط بقيت علي صدرها هديته الخالدة وبعضا من الورد الذي جف وتفتت وتبعثر في صندوق ذكرياتها كما في مخيلتها إلى الأبد...

وفي حفل المولود الجديد والحفيد المنتظر شاهدها بكل فتور تلمس قلادته على صدرها..فاقترب منها وبشغبه القديم المعهود همس لها كأنه يأخذ بثأره القديم: (لا تضعي يدك عليها يا آمال ولا تلمسينها بعد اليوم بل انزعيها ولا تذكري من ألبسك إياها فإنما الحب يا أمال ضعف البشر، كما كان يوماً ضعفنا هو الفقر وضيق ذات اليد ....)

obeikan.com

لحظة انتظار

obeikan.com

أبكي...ثم أضحك ..وأنا لا أدري ما يقبع خلف الزمن..فتحت عينيّ.. نظرت يمينا ..فلم أراها ..و شمالا فلم أجدها...ولا أعرف شيئا..لأنني ضئيلة ..صغيرة جداً..

لا أعرف من الدنيا غير تلك الرائحة المنبعثة من جسد أمي..و تلك البشرة البيضاء والعينين البنيتين التي تنظر إليّ..

أين هي..أين صوتها وأين ترانيمها الودودة ..

أين الأمان في الحرارة الصادرة من بين نهديها..

لا أعرف كيف أغادر هذا المكان...المكان مجهول بالنسبة إليّ.. وأنا تائهة فيه كيف تأتي ..ومتى تأتي ؟...

عرفت للأسف الإنتظار..وأضناني الوقت لأول مرة ...

ماهذا البلل الساخن فوق وجنتي؟..وما هذه الحرقة في عينيّ؟..

ماهذا الطعم المالح في لساني؟ ..ومن أين أتى؟..

وهذا الصوت..صوتي..من داخلي أسمعه خارجاً..

ماهذا؟؟ ..أصابعي ...لا سبيل إلا أن أجرب ..لأضعهم في فمي كما فعلت بنهد أمي..

لا ليست كما أحسسته معها..أين رحلت؟...و هل ستأتي مرة أخرى؟؟

وشعور بالخوف مسيطر..

ما هذا النور خارج النافذة...وما هذه الأصوات في الخارج...أنصت جيدا..

أصمت برهة من البكاء..

فيذهب الصوت ..فأعاود البكاء من جديد على وتيرة واحدة..

أنظر يميني...فلا أراها...

فقط إطار يبرق في عينيّ و يلمع فيه وجهها...

أأبتسم ؟؟..هاهي في الصورة تبادلني الإبتسام..

obeikan.com

ولكنها لا تتحرك..وهي هنا بداخل الإطار صغيرة جدا..

ما بها هذه الدمية لا تتحدث كما بالأمس..إنها بعيدة ...لا تطولها يداي أناديها فلا تجيب كما كانت تستجيب بالأمس مع أمي..

أين أمي... هكذا أحدث نفسي
قصة الشجرة والماعز...آه ..أريد ان أسمعها وهي تحكي...
أنشودة البحيرة والبجعة الصغيرة...
المارد.. والأميرة الصغيرة ....كانت تركض منه في الظلام..
الأميرة هابت خيالها الذي يتبعها ويقلدها...
هل يا ترى سيحدث لي مثلهم..
بكائي يحتد..وجسدي منهك من البكاء..وأنفاسي تختنق..
هل ستتركني أمي..؟

لا أحد هنا ..أنا وحدي ...أعيش معاناة بدونها وهي التي حملتني وهزتني وأطعمتني...

أبكي من جديد..ربما تعود..
ولكن انقطاع الأمل أفقدني السيطرة على ثباتي...فلا هي تعود ولا أحدا يسمع صوتي....
خائفة..
الرسوم فوق الوشاح تقلقني...عينا الدمية تنظر إلي ولا تتحرك إني خائفة...
كل الألعاب نائمة..وكل الناس غائبين بعيدين...
أخاف هذا الزمن ..الوقت ساعة الغروب ويوشك الضوء على الزوال..
وكل شيئ في الغرفة يتحول إلى خيال..
بعد أن تنام الشمس لا نرى شيئا إلا تحت المصباح هكذا تقول أمي...
وأنا وحدي عاجزة عن الكلام..عاجزة عن الهرب ...

obeikan.com

أسمع صوتها.. آتيا من بعيد.. لقد عادت...أسكت لأتأكد .

هي!!

لقد حضرت وحضر معها النور وبدأت الحياة تدب في أركان الغرفة من جديد

وأنا أبتسم وأضحك ...

فلا أعرف كيف أنطق عبارات الكلام...وهي تضحك..

هي جميلة جدا..وتحملني و تحتضني في صدرها ...فيعود عبيرها يملأ أنفاسي و يعود الأمان والإستقرار لقلب ملأه الخوف ...

obeikan.com

المكالمة الأخيرة

obeikan.com

كانت المرة الأخيرة التي هاتفها.. مسكينة ظنت أنه قد أحبها..وظنته واهبها من حنانه فانجرفت نحو عواطفها المشبوبة .. يالها من امرأة مسكينة..
لم تعد الدنيا بأبعادها الثلاثية مهمة فكل المعاني متشابهة، ولا فروق تميز الوجوه...وكل الألوان بدرجة واحدة....تلك هي حياة «شاهيناز».......

شاهيناز سيدة شابة عشرينية تعسة..سافرت إلى الدار البيضاء حيث تزور والدتها المقيمة هناك...حملت معها إلى المغرب بقايا شقاء وحرمان من حنان الزوج المهاجر المشغول أربع وعشرين ساعة في اليوم وسبع أيام في الأسبوع.... إنسانة وحيدة...عصبية حادة المزاج....
اقتنصت فرصة للابتعاد عن مراد زوجها..ولتعيش مع والدتها..وتريح رأسها

شاهيناز أنيقة... لبقة.. واثقة من نفسها....
دقيقة في كل تفاصيلها.... مخلصة في عملها وفي زواجها .. سيدة صغيرة السن جميلة وفاتنة...
ويحين يوم الأثنين الموافق كذا وكذا من التاريخ!!!
تفتح مكتبها..فتجد قائمة مهام يومية ممتلئة... وتشير عقارب الساعة إلى التاسعة صباحا.. ياله من نهار مليئ بالأعمال المهمة...
فتطلب من خادم المكتب فنجانها الصباحي من القهوة المضبوطة ..فهي تعشق كل تفاصيل فنجان القهوة... الفنجان هدية من صديقتها المقربة..
إنه من أرقى أنواع البورسلين..بلونه الأزرق ونقوشه الذهبية الدقيقة المرسومة بعناية يأخذها إلى عالم الأسطورة حينما أحب روميو جولييت..

شاهيناز تعشق القهوة ولكن مزاجها لا يكتمل بدون أن تتناول قطعة الشيكولاتة السوداء.. تفتح غلافها الذهبي... وفي نفس الوقت تتابع رسائل بريدها الإليكتروني وتستمتع برائحة البن الطازج الشهية مرتشفة رشفات متتالية..
لم تكمل الشيكولاتة في ذلك الصباح.. نحتها جانبا مع الفنجان..لفت انتباهها

شيئ ما على غير عادتها... انتفض قلبها فجأة من رسالة عبر بريدها من مجهول يدعى (ابراهيم) يطلب التحدث اليها.. لم تعرف لماذا انتفض قلبها واضطربت أحوالها..بدون سبب ولمجرد رسالة مجهولة المصدر .. قبلت الدعوة..من باب الفضول .. وكانت المرة الأولى التي تقبل فيها دعوة للدردشة عبر الأثير!!!

تحدثت إليه.. كانت دردشة عامة تخللتها كافة المواضيع...سياسة .. أخبار، اشاعات أهل الفن.. وغيرها... ياله من متحدث لبق مثقف.. وملم بأحداث الساعة وهو يتكلم في كل المواضيع... أنه ذكي .. يبدو أن صاحب هذا الأسلوب وتلك الثقافة رجل أنيق..وربما كان وسيما.. انتهت الدردشة على وعد بلقاء قريب..

ولم ينسى إبراهيم أن يتبادل مع شاهيناز أرقام هواتفهما المحمولة...

انتهت المحادثة ولكن صداها مازال يتردد في جوانب قلب شاهناز ... شرد ذهنها بعيدا... تناولت سيجارة وأشعلتها وطارت مع الدخان ثم تلاشت مثله وهي ترفع رأسها المسندة على ظهر كرسيها تراقب تفاصيل الثريا..

وماهي إلا لحظات حتى أفاقت على رنين هاتف المكتب....

انتهى يوم العمل المثقل بالأعباء والمشاغل... تليفونات.. فاكسات ... مواعيد... اتصالات ... استقبال الضيوف... مراجعة ملفات العمل ... كتابة التقارير اليومية...

الإشراف على سير كافة الأمور...والإبتسامة الإجبارية الدائمة...

وصلتها رسالة عبر الهاتف المحمول وهي تهم بفتح باب سيارتها....

فلم تفتحها لأنها متعبة مرهقة ويا حبذا لو مرت على النادي الصحي لتدلل جسدها ببعض الراحة وحمام بخار.. ولو كان هناك متسعا من الوقت فلتمارس بعض التمارين السويدية وبعض التدليك لجسدها المنهك...تحدث نفسها.

نسيت شاهيناز ما حدث في طلعة النهار ...البريد الإلكتروني..والزائر المجهول...

وحين انتهت من مشوار النادي الصحي ..عادت أدراجها نشيطة سعيدة متفائلة.. برغم الحزن الدفين والقلب المنكسر ومشاكل مراد وحنينها لإبنها زياد... أدخلت مفتاحها في الباب..
وحيث دلفت إلى بهو شقتها .. استقبلتها قطتها الفارسية البيضاء.. داعبتها.. دللتها ثم.. ذهبت لتتناول عشائها في المطبخ ومن ثم إلى غرفة نومها....

تفتح هاتفها لترد على مكالمة تلفونية فتفاجأ برسالة من الزائر المجهول الذي حادثته صباحا من خلال الإنترنت..يقول فيها..
(تحية من القلب ومن الشفاه.... ومن روحي لروحك..... وحشتيني....!!!!)

يااه !!! تنطق مندهشة!!! كيف نسيت هذا، ياله من شخص جذاب؟؟؟
ولماذا جذبها حديث إبراهيم... ولماذا تنجذب لشخص مجهول..

لا تعرف.. وسؤال ليس له إجابة في قلبها غير أنها معجبة باتساع أفق هذا الرجل القارئ المثقف...
اتصلت به ..وسمعت صوته لأول مرة.. نبرة أنيقة.. هادئة وواثقة.. ورجل راقي الكلمات.. مهذب الحديث منمق في اختيار الردود..سريع البديهة وخفيف الظل...
كيف يكون حال هذا الرجل...

قال لها: يبدو أنك جميلة..
قالت: وما الذي يجعلك واثق من جمالي؟؟
قال: صوتك الدافئ... وروحك الجميلة...وأسلوبك...
أغدا موعدنا؟؟
سأنتظرك..
وأنا سأنتظرك لأخر يوم من عمري....
كلمات ساخنة والقلب مضطرب...ومختلج النبضات... ويلوح حب جديد في

الأفق..
نامت تحمل إحساسا جميلا... ناسية واقعها ..منغمسة في أعماق سحيقة أبعد ألما من الواقع الذي تحياه مع زوجها....
النوم عميق تلك الليلة والجو دافئ لا يخلو من برودة خفيفة....
وتصحو على رسالة صباحية في هاتفها المحمول من الزائر المجهول يقول لها فيها...

(صباح الهنا والسرور على أجمل بنات الحور..)
تشعر بدفئ يحتوي مشاعرها.. ورقة تقطر من سلوك رجل غريب .. من يكون هذا الرجل؟
تصحو متفائلة متجهة الى عملها...
ويمضي اليوم كباقي الأيام فتعود الى بيتها... متعجلة الجلوس أمام جهاز الكمبيوتر لتلاقي الزائر المجهول... وأخيرا تجده في انتظارها وقد أرسل إليها عشرات الإيميلات.. في انتظارها على أحر من الجمر يقول لها... أول ما يقول...

(وحشتيني)..
طلب صورتها..فأرسلتها .. بهره جمالها...فتنته.. أناقتها..
طلبت صورته ...فأرسلها...بهرتها وسامته.. رجولته...وأكثر!!!!
إذن ماذا تبقى؟؟؟
أرسلت له عشرات الصور في جميع الأماكن ومن كل الزوايا وتأكد من جمالها...
شاهدت له عشرات الصور وأحست أنها معه؛ درسته وتعلمت كل تقاطيع وملامح وجهه...
إذن ماذا تبقى....
فلنلتقي يا حبيبي...

إبراهيم أنا تعيسة حزينة وحيدة منكسرة...
قال لها ..أحبك

obeikan.com

أحبك أحبك أحبك أحبك أحبك إلى مالا نهاية حيث حب لا نهائي...
قالت: سأحبك بهدف الحب فقط..
لا أرغب من تلك الحياة سوى في الحب ولا شيئ بعد هذا
فحبك أقصى الأمنيات..
سأعطيك كل ما تطلبه بدون أي مقابل فقط أحبني....
قال لها سأجعلك ملكة..وسأكون بجوارك دائما..ولن أتركك وحيدةأبدا.... ومعي سيعود إليك احساسك بأنك الأنثى المهمة...أحبك

ثم تابع كلامه وقال... كان عندي اجتماع مهم في شركتي اليوم وألغيته.. وربما ضاعت صفقة بملايين الدولارات ... ولكن الجلوس معك أجمل ...
حبيبتي استودعك الله غدا ألقاك....فلا تغيبين عني..
إلى اللقاء..

كان رجلا ربما أربعينيا.. أو على مشارف الخمسين..
وجيه ولكن ملامحه تبدو على ماتحمل من أناقة و فخامة جمود وحدة وقسوة...
بدأ يطلب محادثتها كثيرا... ويطيل معها بالساعات....
ويتعمق الإحساس في أيام معدودة...فأصبحا حبيبين....على وعد باللقاء يوما ما في القاهرة...
مرت الأيام وفي كل يوم يزدادا قربا ويرتفع الحجاب ليكشف أكثر مما هو مستور عند كلا الطرفين... فتزول الكلفة بينهما... وترتفع حرارة الكلمات، فتمتلئ جرأة..والتهابا.... ويتمنيا لو تمر الأيام بسرعة ليلتقيان في أجازتهما.... وكل منهما نسى أو تناسى ظروفه الإجتماعية والأسرية....

ومع مرور أول شهر على بداية العلاقة الإلكترونية... بدأ يتغيب عنها... ربما يتعمد ذلك... لكن لماذا...
بدأ يطيل الغياب عليها.. بينما تقاسي وتعاني ألام الغياب والشوق...

ولأول مرة تبكي لأجل رجل.... فيبدو أن الحب صحيحا...
يعود ثم يغيب .....يغيب فيعود ليس هناك ثمة قاعدة محددة لديه...
خلف أكثر من عشرة مواعيد معها ليكلمها ولا يكلمها...
لماذا يا ترى تبدل حاله..وعلى هذا الحال، حتى قرر السفر الى القاهرة وطلب منها أن تأتي لزيارة القاهرة...
والتقيا وجها لوجه لأول مرة على الإطلاق....
تأكدت لكليهما الصورة هو وسيم وهي جميلة.... ركبت الى جواره في سيارته. أمسك بيدها وقبّلها وهي مبهورة سعيدة به، رجل أنيق من قمة رأسه لأخمص قدميه... إنه من ذلك الطراز الذي تحبه في الرجال ... فكانت ليلتها من أسعد الليالي التي عاشتها... وكأنها مازالت فتاة في المراهقة مع أول فتى في أول لقاء.. ضاعت من فيها كل الكلمات ولم يسعفها قاموسها... نسيت أمامه كل المحاذير وألقت بالمخاوف خلف ظهرها....

سألها عن أفضل مكان تود الذهاب إليه ولكنها لا تعرف شيئا....فقط أن تظل هكذا الى جانبه طويلا والى الأبد...قالتها له... فاقترح الغداء في منزله مع فنجان من الشاي...عجزت عن الرفض فوافقته ولبت الدعوة على الفور بسلبية كأنها مكبلة ومعصوبة العينين ودونما أي اعتراض....

فتح باب الشقة ودعاها للدخول وأجلسها في صالون من بين أربع صالونات قديمة غطتها الأتربة في بهو كبير متسع وقدم إليها زجاجة مياه غازية!!!
أمسك بيديها وبدون أي كلمة أحتضنها ولثم شفتيها لثمة ساخنة مرتعشة.. وهي مستسلمة..

غاب عنها شهرين كاملين أغلق هاتفه وهجرها خلالهما بدون أسباب ....
شاهيناز ... المرأة العاشقة الخائنة أهانت نفسها.... واستسلمت لنزوتها ولنداء الشيطان....
فكم هي ملوثة... جلبت العار لنفسها....

obeikan.com

ولكنها تحبه حتى الموت....ولا يمكن أن تنسى الليلة التي أمضتها معه... ولا يمكن أن تنسى مهارته في اغواءها... يبدو أنه مارس اللعبة كثيرا....بكل تأكيد...

إنها تتقلب في فراشها كأنما الفراش من جمر من شدة عذابها، وتتمنى أن يتذكرها...وتذكر أول أيام حبهما منذ ثلاثة أشهر كيف كانت ساحرة لحظات لا تنسى.....

طيفه لا يفارق مخيلتها...كلماته.. لمسته.. تغزله فيها ...وهو شخص لا يمكن نسيانه...

وسؤال يتداعى في نفسها لماذا تسقط مع هذا المجهول؟؟؟؟

ولماذا تحبه بهذا الجنون وتتعلق به...

و لماذا الخطيئة؟!

تمر الأيام ثقيلة كئيبة....لأنها اعتادت على وجوده في حياتها سريعا... إنها تتعذب وتمضي أصعب مرحلة في حياتها....فراق إنسان عزيز محبوب، مغرور...ممتلئ قسوة..

(ابراهيم) هكذا تردد اسمه في قلبها همسا مغموسا بدموع وحنين الوجد المنهك بسهر الليل وطول الغياب....

وتستمع إلى اغنيتها المفضلة التي تأتي لها بطيف أول لقاء... (حبيبي غاب ياقمر الليل وغاب وياه منامي، أمانة عليك يا أبو المواويل توصله سلامي وقوله اني مابنساشي كلامه يوم ماكان ماشي ده حبيبي الأسمراني)

وتأتي رائحة البن الصباحي فتتذكر اللحظة الأولى حينما باغتتها بريده الإليكتروني.....

وبدون أن تشعر وهي تتجول في مخيلتها بين الماضي وما كان وبين الحاضر الأليم....

طفرت دمعة من عينها السوداء...فدعت الدموع ..فسالت..كالمطر المنهمر....

وسال معها كحل العين فلطخ وجهها......
وإبراهيم مع الروح في القلب يروح ويجيئ...
أين ياترى يمكن أن يكون ؟؟ وهل نساها أم تذكرها .... لعل ما منعه عنها خيرا...
هكذا تكذب على نفسها... مسكينة..وهكذا مع كل دمعة تحرق من السجائر أكواما...
وفجأة باغتها اتصال منه....
يالها من لحظة تاريخية في حياتها.... لحظة سعيدة ... كأن كل البلابل التي خُلقت احتشدت لتغني حبها وكأن الخريف فجأة صار ربيعا ....وكأن الحزن لم يكن قد عبث بسعادتها يوما...ولا أبكتها الأشواق أبداً......

طلب منها الحضور الى القاهرة للقاءه مرة أخرى....

لم تفكر لحظة وسافرت إليه مسّيرة خلف أقدارها المأساوية.....
وكان اللقاء الثاني....
في نفس المكان....لقاء زينته الأشواق....وأججته اللوعة ..فهي لا تملك قرارها أمام سحر إبراهيم....غمرها قبلات وأحتضنها... وضمها بقوة... وعاتبها على غيابها وكأنها التي هجرته...
وفجأة هما بدون حواجز تفصلهما...تاهت الكلمات وضاعت المعاني وهيمن السكوت...

وانتهى اللقاء..
كلمها كثيرا وطلب منها ألا تعود للمغرب و أن تطلب الطلاق من زوجها....
ولكن الوقت يمضي والعمل متوقف... وابراهيم يختفي ويظهر فجأة وهو غير مضمون...
ومضت الشهور متتابعة بين شاهيناز وإبراهيم
وفي مساء أحد الأيام....

كلمها....
- أحبك مشتاق.....متى تأتين؟
- لا أدري...ظروفي...يا إبراهيم ثم أردفت...
أنت تغيب كثيرا عني وتتركني أكتوي بالنار..
- لا يا حبيبتي لا تعاتبينني...
- ولكنك عذبتني...
- آسف..
- ليت الأسف كان دواء لما بي... وعتابي لك هو حب لك...
- حبيبتي ماذا تقولين لجندي مهزوم مستسلم رمى جميع أسلحته عند قدميكِ..؟؟
- ليتني أقدر أن أنساك يوما يا إبراهيم ..ولا أقدر على خصامك وأنت أدرى..
- إلى اللقاء حبيبي..
- نحن على اتصال...
وأقفل سماعة الهاتف....

كان هذا آخر اتصال بينهما .... ثم هجرها إلى الأبد...وترك الجرح مفتوحا ينزف ولا يندمل.. ترك القلب ..مشطوراً الى نصفين.. أدمى العين والفؤاد... تذكره بين الساعة والأخرى وبين الدقيقة والثانية....تذكره إلى الأبد كما نسيها إلى الأبد...وتشكره في نفسها على لحظات السعادة التي منحها إياها.......

ويمضي العام الأول فوق أنقاض الذكرى...
وشاهيناز تشعل شموعا لتحتفي بالحب الضائع.. ولازالت تقلب في هاتفها وبريدها الإلكتروني علها تجد من الزائر المجهول شيئا ما...
شيئا يبعث الأمل من جديد...

obeikan.com

قصص قصيرة جداً

obeikan.com

-١-

أخذها من يدها كالطفلة.. وجاب بها البساتين اللانهائية بفستانها الوردي وملامحها الطفولية البريئة...

كان سعيدا بها.. وكانت بريئة لم يصبها عفن الدنيا..

أجلسها على الأرجوحة بين الأشجار وظل يداعب شعرها خائفاً لو أنه قد لمس خدها أن يخدشه..

-٢-

تقابلتا عند محطة القطار وقد نسيت كلتاهما سنوات قد فرقت عهد صداقتهما ... جمعتهما الذكريات..

ولكن الإتجاه الفكري فرق بينهما.. هي سافرة وملفتة ... بينما صارت صديقتها زاهدة مرتدية نقاباً أسودا.

أختلفت وجهات النظر... ازدادت حدة الجدل.. والغريب صارت كل منهما تخشى السير الى جانب صديقتها..

-٣-

التقيا في (الماضي) حول مائدة مقهى على الساحل القديم.. تناولا إفطارهما بين حدائق ونوافير المقهى .. كانت تصدح فيه أغنيات لاتينية .. واعتاد خوليو ايجلاسيوس دائماً أن يملأ بدفئ صوته الأجواء

هكذا بدت اللحظة مدهشة .. وظن الإثنان أن هناك شيئا خالدا يسمى (الحب)...

obeikan.com

-٤-

في صمت.. حاولت أن تقول له بعينيها.. ولكنها فشلت..حاولت أن تفهمه.. لكنه تجاهلها...

كان مختلفا عن كل الرجال.. بالنسبة اليها.... لم يقل لها انه يحبها... ولكنه فعل ما يفعله الشجعان.. فأحبته

وكانت هي بالنسبة إليه مجرد قطة صغيرة مسكينة ضلت طريقها ...

-٥-

وقفت في وسط عربة المترو لا تخشى لومة لائم بكل جسارة.. برغم فقرها وقصر قامتها وجهت لومها بأعلى صوتها لرجل استقل عربة السيدات.. استهان بها..تجاهلها تماماً.. وقفت تمنع باب العربة من الإنغلاق حتى دق جرس الإنذار..

ثم جاء الشرطي واصطحبها عنوة إلى حيث لا تعلم وسط ضجيج وفوضى وشتائم من الرجل الذي ظل في عربة السيدات .

-٦-

مر بجانبي رجل يضع عطرك...

لم أر ملامحه .. فقط التفت إليه لأرى ظهره .. كان طوله يوازي طولك

و قوامه شبيهاً بقوامك..حتى مشيته تشبه مشيتك

واتسائل هل كان وجهه يشبه تقاطيعك ... وهل حقاً افترقنا ولن أعد لأراك مجدداً..

رائحتك يا حبيبي ذكرتني بشهر العسل .. حينما كنا على الصبابة نحيا ..

كنت لا أزال أخجل ... و تصبح وجنتاي بلون الدم في كل مرة تقترب فيها مني ..

obeikan.com

-٧-

تذكرت كل الصباحات التي صحوت فيها قبله .. أقطع الخبز الطازج واحشو بداخله قطع الجبن مع قطع الخيار وحبات الزيتون ... ورائحة الشمس ممزوجة بأريج زهوري الموسمية التي غرستها في شرفتي أمام الميناء.. والبوارج ترسو على مرساه..و أنا قابعة في مملكتي الصغيرة بين الرياحين في الشرفة وهو يهرول نحو باب الشقة طابعا على جبيني قبلته التي لا تنسى...

-٨-

الفجر هدنة..والمطر هدنة.. بيننا...
مرة أحاول النوم بلا أحلام تتسلل إليها ذكرياتك ...و مرة أتخيلك تتسرب إلى مساماتي كما قطرات المطر عندما تفاجئني في الطريق..

-٩-

في يوم من أيام العطلات الرعناء
سافرت حيث البلاد المتسعة
و أنتظرت أن أكتفي بمشاهدة الأمطار تروي محاصيل في أرض ليست بأرضي...
و عدت بخفي حنين..لا أمطار في موطني ..ولا ثمار جنيتها
و كل البؤساء لازالوا ينتظرون مثلي....

openkan.com

-١٠-

مرآتها مكسورة.....
و بين طيات ملابسي خبأتها
فقد عكست وجهها الجميل ذات يوم.....

-١١-

كان السهر ..... لأجل عينيه ....
وكان الأنس...وكان ....وكان....وكان..... أحلى مناجاة
ومضى بعد قصتنا آخذا كل أشيائي....
حتى القلب لم يسلم من سرقاته....
فأصبحت بلا أشياء.. وبلا قلب وبلا روح
فقط لململت بعض الأوراق وبعض الصفحات
دونت فوقها أسمه وقتما كنا على الصبابة نحيا...

-١٢-

لا تؤاخذني أيها القمر...
لو أني اتجهت نحو مخدعي مبكراً
فالشتاء قارس
و الليل طويل
و أحبتي ... يعبثون في مخيلتي كل حين
فهل من مفر غير النوم
لأستجدي الدفئ في الأحلام

obeikan.com

obeikan.com